

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد بوضياف - المسيلة -

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: /

رقم التسجيل:

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب حديث ومعاصر
شعبة الدراسات: دراسات أدبية
بغنوان:

بنية الشخصية والتحول الاجتماعي في رواية
"زمن الغبار" لفاطمة بن محمود

- إعداد الطالبتين:

- مجناح آية

- غزرم إناس

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الصفة	الجامعة	الرتبة	اسم ولقب الأستاذ(ة)
رئيسا	جامعة المسيلة	أستاذ	بوديسة بولنوار
مشرفا ومقررا	جامعة المسيلة	أستاذ	حكيم دهمي
ممتحنا	جامعة المسيلة	أستاذ	حلوي فتيحة

الجامعية: 2025-2026م



شكر و عرفان



الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

اعترافا بالفضل لأهل الفضل، وعرفانا بالجميل لمن قدم العون والمساعدة؛ يطيب لنا في هذا
المقام أن نتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير إلى أستاذنا الدكتور الفاضل ومشرفنا

*** حكيم دهيمي ***

الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته السديدة، ونصائحه القيمة، وعلمه الوافر، فكان نعم
السند والموجه طيلة مسيرة إنجاز هذا العمل
كما لا يفوتنا أن نتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل،
على تفضلهم بقبول وتقييم ومناقشة هذه المذكرة، وإثراءها بملاحظاتهم وتوجيهاتهم البناءة
والشكر موصول أيضا إلى كل أساتذتنا الأفاضل بالأسرة الجامعية
وإلى كل من مدّ لنا يد العون من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة
وفي الأخير، أحمد الله





مقدمة:

تُشكّل الرواية، منذ نشأتها، الجنس الأدبي الأكثر قدرة على تمثيل تعقيدات الواقع الإنساني والاجتماعي، والوعي بتحوّلاته العميقة. وإذا كانت الشخصية الروائية تمثل "العصب" الذي تنبض به الحكاية، وتتجسد من خلاله الرؤى والصراعات، فإن دراستها من حيث بنيتها (التركيب، التناهي، العلاقات، الأدوار، الوظائف السردية) تتيح للباحث مقارنة كيفية تجسيد التحولات الاجتماعية الكبرى في النص الأدبي. ذلك أن الشخصية ليست مرآة عاكسة للواقع فحسب، بل هي فاعل سردي يمارس تفكيك البنى القائمة، ويعيد تشكيل الوعي الفردي والجماعي، ويتخذ من التخيل أداة لتفكيك الأيديولوجيات والمسكوت عنه.

تكتسب هذه الدراسة راهنتها من الخصوصية التي عاشتها تونس بعد ثورة 14 يناير 2011، حيث انفتح الفضاء العام على حرية التعبير، وظهرت أصوات روائية جديدة تجاوزت الكتابة التوثيقية السطحية إلى معالجة التحولات الاجتماعية والسياسية والنفسية بعمق وجرأة. ومن بين هذه الأصوات النسائية الطموحة تبرز الكاتبة "فاطمة بن محمود"، التي استطاعت في روايتها الثانية "زمن الغبار" (الصادرة عام 2023 عن دار زينب للطباعة والنشر) أن تقدّم عملاً روائياً شديداً التماسك، ينبش في جراح المرحلة الانتقالية، مسلطاً الضوء على قضايا هيكلية كتفسير الشباب إلى بؤر التوتر، وتفكيك خطاب الإسلام السياسي، ومعاناة الأسر التي فقدت أبناءها في الحرب العنيفة على "دولة الخلافة".

وبالنسبة "للدراسات السابقة" فلم تحظ رواية "زمن الغبار" - لحد الآن - بدراسات نقدية أكاديمية موسعة، نظراً لحداثة صدورها (2023)، غير أن بعض المقالات النقدية والقراءات الصحفية قد تناولتها، ومن أبرزها:

- دراسة "محمد الهادي عرجون" (موقع Middle East Online، 19 مارس 2025) التي ركزت على "التذكر والاستذكار" بوصفهما آليتين سرديتين أساسيتين في الرواية، وأشارت إلى تقنية التمثيل السردية المزدوج، لكنها لم تتناول بنية الشخصية بشكل منهجي متكامل.

-قراءة عمران الغربي (المصري اليوم، 28 فبراير 2024) التي سلطت الضوء على "الذاكرة المرة لأوبئة الكراهية" في الرواية، وركزت على البعد السياسي والأيدولوجي دون تعمق في البنية الفنية للشخصيات.

- مقال "هيام الفرشيشي" (الصباح نيوز، 7 مارس 2024) الذي وقف عند "الزمن والسرد والصور الأدبية"، لكنه لم يخصص مبحثاً لتحليل الشخصية الروائية بأبعادها المختلفة.

أما الدراسات الأكاديمية الجادة حول الرواية التونسية بعد الثورة، فمنها:

- دراسة "وفيقة المصري" (2021) حول "الرواية التونسية بعد الثورة: قراءة في الفضاء الهامشي"، التي أرست قواعد نظرية مهمة حول تحولات الخطاب الروائي في تونس ما بعد 2011.

- دراسة "عامر بوعزة" (2019) حول "اتجاهات جديدة في الرواية التونسية"، التي رصدت "الطفرة الكمية الهائلة" في الإنتاج الروائي، لكنها لم تتناول أعمالاً صدرت بعد 2019.

وتتجلى "أهمية الدراسة" في ثلاثة مستويات:

- الموضوع: هي أول دراسة (على حد علمنا تُخصّص لتحليل رواية "زمن الغبار" من حيث بنية الشخصية والتحول الاجتماعي، مستفيدة من الدراسات السابقة لكنها تتجاوزها إلى بناء نموذج تحليلي متكامل.

- المنهج: الجمع بين المناهج البنوية والسوسيونقدية والتفكيكية في دراسة شخصيات الرواية، وهو ما لم تتطرق إليه القراءات السابقة.

- الغرض: تقديم إجابة عن إشكالية مركزية، تتحدد في السؤال التالي:

وتتطلق "إشكالية الدراسة" من السؤال المركزي التالي:

- كيف تعكس بنية الشخصية الروائية في "زمن الغبار" التحولات الاجتماعية التي شهدتها المجتمع التونسي بعد الثورة، وبأي آليات سردية وتقنيات فنية تحقق الكاتبة هذا التمثيل؟

وينبثق عن هذا السؤال أسئلة فرعية:

- ما البنى الأساسية التي تشكل الشخصية الروائية في الرواية (مادية، نفسية، اجتماعية، فكرية)؟
- ما العلاقات التحولية بين الشخصيات الرئيسية (ثريا، ربيع، الذاكرة) وكيف تعبر عن صراع الأجيال والقيم؟
- كيف تُوظّف الكاتبة تقنيات التفصيل السردى المزدوج، والذاكرة الاسترجاعية، والزمن التصوري في تجسيد التحول؟
- أما "أهداف الدراسة"، فتنحصر في:
- تحليل بنية الشخصية الروائية في "زمن الغبار" وفق نموذج نقدي يجمع بين المناهج البنيوية والسوسيونقدية.
- رصد التحولات الاجتماعية التي عاشها المجتمع التونسي بعد الثورة كما تتمثل عبر مصائر الشخصيات.
- الكشف عن الآليات السردية التي توظفها فاطمة بن محمود لجعل الشخصية أداة لنقد الواقع وتفكيك الخطاب المتطرف.
- إبراز خصوصية الرواية التونسية المعاصرة في مقارنة قضايا "ما بعد الثورة".

وبالنسبة لـ "منهج الدراسة" فقد اعتمدت الدراسة منهجا متكامل يجمع بين (المنهج البنيوي) لتحليل بنية الشخصية وعلاقاتها داخل النظام السردى، بالاستناد إلى تصورات غريماس وتودوروف وفان ديك، وكذلك (المنهج السوسيونقدي Sociocritique)، الذي يربط النص بسياقه الاجتماعى وتفاعلاته التاريخية، وفق مقاربات غولدمان وإسكاريبت، بالإضافة إلى (المنهج التفكيكي)، بقدر ما يساعد في كشف آليات تفكيك الخطاب الأيديولوجي داخل الرواية، مستفيداً من أدوات دريدا وفلبر.

ومن أجل الوصول إلى أهداف هذه الدراسة تم تقسيم المذكرة على فصلين، تسبقهما مقدمة وتليهما خاتمة.

«الفصل الأول»: الإطار النظري للشخصية الروائية والتحول الاجتماعي.

- المبحث الأول: مفاهيم نظرية حول بنية الشخصية الروائية

- المبحث الثاني: التمثيل الروائي للتحول الاجتماعي

- المبحث الثالث: السياق التونسي بعد الثورة

«الفصل الثاني»: بنية الشخصية وتجليات التحول الاجتماعي.

- المبحث الأول: تصنيف الشخصيات في رواية زمن الغبار.

- المبحث الثاني: الفواعل السردية في رواية زمن الغبار.

- المبحث الثالث: آليات بناء الشخصية في رواية زمن الغبار.

- المبحث الرابع: ملامح الشخصية في الرواية التونسية المعاصرة.

الخاتمة: تتضمن أهم النتائج والتوصيات، مع اقتراح آفاق بحثية مستقبلية.

- ثم تلي قائمة المراجع والملاحق.

كما لم تخل هذه المذكرة - مثل أي دراسة - من صعوبات منهجية وتطبيقية، كان أبرزها: حداثة المادة المدروسة: صدرت الرواية عام 2023، مما جعل الدراسات النقدية حولها شبه منعدمة، واعتمدنا في تحليل بحثنا على كثير من المقالات الصحفية والقراءات النقدية الأولى، مع محاولة تجاوزها إلى بناء رؤية تحليلية أصيلة، بالإضافة إلى ندرة المصادر النظرية المتخصصة في تحليل الشخصية الروائية في السياق التونسي بعد الثورة حيث توجب علينا الاستعانة بمصادر عامة في النقد السردى، ثم إسقاطها على الحالة التونسية.

وكذلك صعوبة تصنيف الشخصيات وفق منهج واحد بسبب تداخل الأدوار والوظائف بين الشخصيات الرئيسية، مما استدعى مرونة منهجية وتكاملاً بين المقاربات البنيوية والسوسيونقدية والتفكيكية، وطبيعة الموضوع الحساسة (تفكيك خطاب الإسلام السياسي) تطلبت توخي الدقة والأمانة العلمية، والاعتماد على النصوص وليس على الانطباعات.

رغم هذه الصعوبات، إلا أنه تم تجاوزها بالعودة المستمرة إلى النص الأصلي للرواية، والتثبت بالمنهجية العلمية الرصينة، والتواضع أمام تعقيدات النص الأدبي.

وفي الأخير لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتوجه بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذ المشرف الفاضل الأستاذ الدكتور "حكيم دهيمي"، الذي كان - بحق - نعم المرشد والمعين. فقد تفضل بقبول الإشراف على هذه المذكرة منذ لحظاتها الأولى، وأمدنا بتوجيهاته السديدة، ونقده البناء، وصبره الجميل على كل استفساراتنا، و كان حضوره العلمي والأخلاقي سرًا من أسرار إتمام هذا العمل، فله منا كل التقدير والدعاء بطول العمر والعون على خدمة العلم والباحثين.

والشكر موصول للكاتبة "فاطمة بن محمود" على روايتها الجريئة التي كانت مادة خصبة لهذا البحث.

وختامًا، فإن الرهان على هذه المذكرة هو إثبات أن الشخصية الروائية في "زمن الغبار" لم تكن مجرد أداة حكائية، بل تحولت إلى فضاء سردي مفتوح، يعيش فيه القارئ تحولات وطنه، ويتألم مع أسر المسفرين، ويتماهى مع صوت امرأة تروي بجرأة وعقلانية ومرارة انتظار "زمن الغبار" الذي قد ينقشع لتبدأ الحياة من جديد.

والله ولي التوفيق، وهو الهادي إلى سواء السبيل

الفصل الأول

الإطار النظري للشخصية الروائية والتحول الاجتماعي

- تمهيد

المبحث الأول: مفاهيم نظرية حول بنية الشخصية الروائية

المبحث الثاني: التمثيل الروائي للتحول الاجتماعي

المبحث الثالث: السياق التونسي بعد الثورة

- خلاصة

تمهيد:

يعد الخطاب الروائي فضاء أدبيا قادرا على تمثيل الواقع الإنساني والاجتماعي في مختلف تجلياته، إذ تتداخل فيه العناصر الفنية والفكرية لتشكل رؤية شاملة للعالم، وتبرز الشخصية الروائية بوصفها أهم المكونات السردية التي يقوم عليها البناء الروائي، فهي العنصر الذي تتجسد من خلاله الأحداث، وتتشكل عبره العلاقات، كما تُعبر عن القضايا الفكرية والاجتماعية التي يسعى الروائي إلى طرحها ومن ثم، فإن دراسة الشخصية لا تقتصر على كونها عنصرا فني داخل النص، بل تتجاوز ذلك إلى كونها أداة للكشف عن التحولات التي يشهدها المجتمع وتمثيلها سرديا.

وانطلاقاً من ذلك، يتناول هذا الفصل الإطار النظري الذي يجمع بين دراسة الشخصية الروائية بوصفها بنية فنية، والتحول الاجتماعي بوصفه موضوعا روائيا يعكسه النصوص السردية، فقد خُصص «المبحث الأول» للوقوف عند مفاهيم بنية الشخصية الروائية، من خلال تعريفها، وبيان تصنيفاتها ووظائفها في العمل السردى كما تناولها النقاد العرب والغربيون، أما «المبحث الثاني» فيتناول التمثيل الروائي للتحول الاجتماعي، من حيث مفهومه وآلياته، وعلاقته بالواقع الاجتماعي، مع التركيز على انعكاس التحولات التي عرفها المجتمع التونسي بعد الثورة في المتن الروائي، ثم يأتي «المبحث الثالث» لبيان السياق التونسي بعد الثورة، وكيف أصبحت الرواية التونسية المعاصرة مجالاً لتجسيد الوعي الاجتماعي والتحولات التي مست الفرد والمجتمع، من خلال توظيف الشخصية الروائية بوصفها أداة فنية لتصوير هذه التحولات ورصد أبعادها المختلفة.

المبحث الأول: مفاهيم نظرية حول بنية الشخصية الروائية

تُعد بنية الشخصية الروائية من الموضوعات المهمة في الدراسات السردية، لما للشخصية من دور بارز في تشكيل النص الروائي وبناء أحداثه، ومن أجل الإحاطة بهذا المفهوم، لابد من الوقوف على تعريف بنية الشخصية، ثم بيان الشخصية من المنظور النقدي الغربي والعربي.

أولاً: مفهوم بنية الشخصية

تعتبر الشخصية من أبرز المكونات الفنية في العمل الروائي، حيث تشكل محور الأحداث ووسيلة الكاتب في تجسيد رؤيته الفكرية والإنسانية داخل النص السردية، لذا نسعى هنا إلى تحديد مفهوم بنية الشخصية في العمل الروائي، حيث سنتعرف على مفهوم كلمة البنية، ومن ثم الوقوف على بيان مفهوم الشخصية في الرواية.

1- البنية:

يعد مفهوم البنية من المصطلحات التي حظيت باهتمام واسع لدى الباحثين والدارسين، سواء في الفكر العربي أو الغربي، وذلك لما يتسم به من دقة وأهمية في مختلف الدراسات النقدية واللغوية، وقد ارتبط هذا المفهوم منذ بداياته بمعاني البناء والتشييد، حيث كان يطلق لفظ البنية على كل ما اتسم بالتماسك والتركيب، فيقال بنية الشيء أي هيئته وصورته وشكله، ومع تطور الدراسات الحديثة، اتسع مدلول هذا المصطلح ليصبح متداولاً في الساحة النقدية، و تحول إلى منهج علمي مستقل له أسسه ومبادئه واتخذ طابعاً شمولياً.¹

من حيث اللغة ، فقد ورد في "لسان العرب" أن: «البنى نقيض الهدم، بَنَى البناء بَنَاءً وَبَنَاءً، وَبَنَى بِنَاءً وَبَنِيَةً وَبِنَايَةً»²، وورد هذا اللفظ في "المعجم الوسيط" بأنه: «بَنَى الشيء بَنَاءً وَبَنَاءً وَبِنَاءً وَأَقَامَ جِدَارَهُ، وَنَحْوَهُ يُقَالُ بَنَى السَّفِينَةَ، وَاسْتَعْمَلَ مَجَازاً فِي مَعَانٍ كَثِيرَةٍ تَدُورُ حَوْلَ التَّاسِيسِ وَالتَّنْمِيَةِ وَبَنَى مَجْدَهُ وَبَنَى الرَّجُلَ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: بَنَى الرَّجُلَ وَغَيْرِهِ بَنَى الْقَرْىَ

¹ - جدي، أيوب، "استراتيجيات بناء الشخصيات في الخطاب الروائي المعاصر - دراسة تطبيقية"، مجلة لغة وكلام، العدد 02، مخبر اللغة والتواصل، جامعة غليزان، الجزائر، 2020، ص 107، 108.

² - ابن منظور، "لسان العرب"، المجلد 5، دار المعارف، القاهرة، مصر، (دب)، ص 365.

بنيان القرى وبين الرجال»¹، وفي "القاموس المحيط" ورد أن البنية هي نقيض الهدم، كما تُستعمل أيضاً للدلالة على تركيب الكلمة وصيغتها الثابتة.²

أما (اصطلاحاً)، فقد تعددت تعريفات البنية بتعدد المجالات التي استُخدم فيها المصطلح، ومن أبرز هذه التعريفات أنها «ترجمة لمجموعة من العلاقات القائمة بين عناصر متعددة أو عمليات أولية، بحيث يتمكن الباحث من تحديد خصائص هذه العناصر وطبيعة الروابط التي تجمع بينها ضمن نسق منظم ومتربط»³، ومن خلال هذا التعريف يتضح أن البنية تهتم بدراسة كيفية ارتباط العناصر المختلفة فيما بينها، كما تؤكد مدى انسجامها وتكاملها داخل الكل، ومن أهم خصائصها تحقيق التماسك والانتظام بين مختلف الأجزاء المكوّنة لها.

2- الشخصية:

تُبنى الرواية على مجموعة من العناصر المتكاملة، وتأتي الشخصية في مقدمتها باعتبارها دعامة أساسية في العمل الروائي، وعنصر محورياً يضمن ديناميكية العلاقات داخله. وقد تعددت التعاريف المتعلقة بها، سواء في الجانب اللغوي أو الاصطلاحي.

ففي (اللغة)، ورد في "لسان العرب" أن لفظ "الشخص" يدل على «جماعة الإنسان وغيره، ويُطلق على ما يُرى من بعيد، إذ يقال لكل ما له جسم ظاهر أنه شخص»⁴، والشخص: «كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به إثبات الذات فاستعير له اللفظ الشخص»⁵، وجاء في "مقاييس اللغة" «الشين والخاء والصاد أصل واحد يدل على ارتفاع في الشيء من ذلك الشخص سواءً الإنسان إذا سما من بعيد، ثم يحمل على ذلك فيقال شخص من بلد إلى بلد وذلك قياسه، ومنه أيضاً شخوص البصر، يقال شخص شخصاً وامرأة شخيصة أي جميلة»⁶.

¹ - إبراهيم، مصطفى وآخرون، "المعجم الوسيط"، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، تركيا، (د.ت)، ج 1، ص 72.

² - أبادي، الفيروز، "القاموس المحيط"، المكتب التراثي لمؤسسة الرسالة، ط 1، بيروت، لبنان، 2003، ص 1264.

³ - فضل، صلاح، "النظرية البنائية في النقد الأدبي"، ط 1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1998، ص 122.

⁴ - ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، ط 1، المجلد 7، بيروت، لبنان، 2003، مادة (شخص)، ص 50.

⁵ - ابن منظور، المرجع نفسه، ص 51، 50.

⁶ - ابن فارس، أبو الحسن، أحمد ابن زكريا، "معجم مقاييس اللغة"، ط 2، دار الفكر للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 1979، ج 3، مادة (شخص)، ص 254.

كما تُستعمل الشخصية للدلالة على مجموعة الخصائص الجسدية والعقلية والعاطفية التي تميز فرداً عن غيره، أي مجموع الصفات الظاهرة التي تحدد هوية الإنسان وسلوكه¹.

أما في (الإصطلاح)، فالشخصية هي مجموعة الصفات والخصائص التي تميز فرداً عن غيره، حيث يُقال إن فلانا "لا شخصية له" أي يفتقر إلى ما يميزه، كما يُقصد بها في السياقات القانونية والاجتماعية مجموعة الأحوال والبيانات التي تثبت هوية الفرد².

كما تباينت المفاهيم حول المصطلح باختلاف وجهات نظر الدارسين والباحثين، فمنهم من يراها القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي وعموده الفقري الذي يقوم عليه، إذ تُعد أساس العمل الحكائي وأحد مكوناته الرئيسية، وبذلك نجد أن الأفراد يختلفون من شخص إلى آخر، فلكل منهم صفاته التي تميزه وتجعله قادراً على التعايش داخل مجتمعه³.

وهناك من يرى أن الشخصية الروائية تُعد أحد المكونات الحكائية التي تساهم في تشكيل بنية النص الروائي، حيث يعمل منجز النص على تشكيلها عبر أسلبة اللغة وفق نسق يقارب الإنسان الواقعي؛ فهي صورة تخيلية تستمد وجودها من مكان وزمان محددين، وقد انصهرت في البنية الفكرية للكاتب الممزوجة بموهبته، لتتشكل على الفضاء الورقي، فتساهم في بناء بنية النص الروائي (الدال)، وتؤدي وظيفتها التأليفية، كما تعكس من خلال علاقاتها مع البنى الحكائية الأخرى ظروفًا اجتماعية وسياسية، مساهمة بذلك في تكوين المدلول الحكائي⁴.

3- الشخصية من المنظور النقدي الغربي:

من أبرز النقاد الغربيين الذين اهتموا بمفهوم الشخصية وطوره "رولان بارت"، حيث عرّف الشخصية الحكائية بأنها: "نتاج عمل تألّفي"، وقصد بذلك أن هويتها تتوزع في النص من خلال الأوصاف والخصائص المرتبطة باسم يتكرر في الحكّي⁵، ومن هنا جعل بارت الشخصية عنصراً أساسياً في البناء الروائي، فهي لا تتحدد إلا داخل النص، وتظل كائناً ورقياً لا وجود له خارج الكلمات.

¹ - الرائد، جبران مسعود، "معجم لغوي عصري"، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1992، ص467.

² - بنكراد، سعيد، "سيمولوجية الشخصيات السردية"، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط2، عمان، الأردن، 2003، ص28.

³ - جدي، أيوب، المرجع السابق، ص109.

⁴ - مرشد، أحمد، "البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله"، دار الفارسل للنشر، الأردن، عمان، ط1، 2005، ص35.

⁵ - الحمداني، حميد، "بنية النص السردية بمنظور النقد الأدبي"، المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء، المغرب، ط3، 2000، ص51.

كما ركزت الأعمال الإبداعية على الشخصية باعتبارها فاعلا في الحكاية، وأصبحت تمثل علاقات متعددة داخل النص، ويرى "هنري برجسون" أن الشخصية هي "الكاتب الذي ظل في بعض تجربته في حالة كمون، وكأن الشخصية القصصية إسقاط لشخصية الكاتب"¹.

أما الناقد "فيكتور شكولوفسكي" فقد جعل مفهوم البطل قريبا من مفهوم الشخصية، إذ لم يستبعدا من السرد باعتبارها عنصرا لا يمكن أن يقوم النص بدونه، وهو ما يدل على أن الشخصية عنده ترتبط أساسا بالبطل داخل العمل الحكائي.²

ويشير "الجيرداس جوليان غريماس" إلى أن الشخصية هي "مجموع العوامل التي تبقى ثابتة وفق منظومة معينة، ويمكن أن يؤديها عدد لا نهائي من الممثلين"،³ وبذلك ربطها بمفهوم العامل، وقسم أدوارها إلى ستة أدوار معروفة ضمن نموذج العامل،⁴ أما "فيليب هامون" فقد درس الشخصية من منظور لساني قائم على ثنائية الدال والمدلول، حيث نظر إليها من خلال وظيفتها داخل النص، وعدها علامة لغوية تكتسب معناها تدريجيا أثناء القراءة، ومن ثم فهو يحدد الشخصية المحورية والثانوية وفق معايير دلالية وسردية.⁵

ومن خلال هذا يتضح أن مفهوم الشخصية عند النقاد الغربيين قد تطور بتطور الدراسات النقدية، فلم يعد ثابت بل تتوع بين من عدها علامة لغوية، أو بطلا، أو صورة للكاتب، أو بناءً تخيلياً تصوغه اللغة.

4- الشخصية من المنظور النقدي العربي:

حظي مصطلح الشخصية باهتمام كبير في الدراسات النقدية العربية، ونال نصيبا واسعا من التحليل لدى النقاد العرب، إذ يرى "محمد غنيمي هلال" أن "الأشخاص في القصة مدار المعاني الإنسانية ومحور الأفكار والآراء العامة"، إذ إن القاص لا يقدم أفكاره وقضاياها منفصلة عن محيطها، بل يجسدها من خلال الشخصيات، وتُعد الشخصية عنصرا جوهريا في بناء الرواية، ولا يمكن فصلها عن باقي المكونات السردية، لأنها تجسد الفكرة عبر

¹ - الحجيلان، ناصر، "الشخصية في قصص الأمثال العربية"، دراسة في الأنساق الثقافية للشخصية العربية النادي العربي الرياض، ط 1، الرياض، 2009، ص 70.

² - الحمداي، حميد، المرجع السابق، ص 53.

³ - الحجيلان، ناصر، المرجع السابق، ص 70.

⁴ - حماش، جويده، "بناء الشخصية في حكاية عبو والجمامع والجل"، منشورات الأوراس، الجزائر، 2007، ص 66.

⁵ - حمداوي، جميل، "مستجدات النقد الروائي"، شبكة الألوكة، ط 1، 2011، ص 221.

سلوكها وتصرفاتها، كما تساهم في تطوير الأحداث وتتميتها، وهو ما يمنحها مكانة بارزة في المتن الروائي¹.

أما "عبد المالك مرتاض"، يرى في كتابه نظرية الرواية أن الشخصية: "هي التي تصطنع اللغة، وهي التي تثبت أو تستقبل الحوار، وهي التي تنهض بدور الصراع أو تنشيطه... وهي التي تتعامل مع الزمن في أبعاده الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل"². وبذلك يجعلها محور مهم في تشكيل الخطاب السردي.

ومن خلال هذه التعريفات التي قدمها النقاد العرب، يمكن التوقف عند مصطلحين مهمين هما: "الشخص" و"الشخصية"، إذ يخلط بعض الدارسين بينهما ويستعملونهما وكأنهما مترادفان، بينما هناك فرق واضح بينهما، فالشخص يطلق على الإنسان الحقيقي المنتمي إلى عالم الواقع، أي كائن له هوية فعلية ويعيش في زمان ومكان محددين³.

أما الشخصية فهي كائن فني تخيلي، تنشأ داخل النص الأدبي، ولا تنتمي إلا إلى عالم الأدب والخيال. فهي كائن ورقي يتشكل من صفات وعلامات وإشارات، ولا وجود لها خارج النص الذي يحتويها⁴.

ويفهم من ذلك أن الشخصية الروائية ليست موجودة في الواقع المادي، وإنما هي بناء تخيلي فني، تحيا وتموت داخل حدود النص، ولهذا ميز النقد الحديث بين الشخص الحقيقي والشخصية الروائية تمييزاً واضحاً، ونظراً لهذه الأهمية فقد أفرد لها النقاد مساحة واسعة من الدراسة والتحليل، ورغم اختلاف مناهجهم وتوجهاتهم، سواء عند العرب أو الغرب، إلا أنهم اتفقوا في النهاية على أن الشخصية عنصر أساسي في بناء النص السردي، سواء أكان رواية أو قصة، لأنها الدعامة التي تقوم عليها بنية الأحداث، ويتحقق من خلالها التماسك والانسجام في العمل الأدبي عامة⁵.

¹ - زعرب، صبحية؛ كنفاني، غسان، "جماليات السرد في الخطاب الروائي"، دار مجدلوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006، ص117.

² - مرتاض، عبدالمك، "في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد"، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص91.

³ - مرتاض، عبدالمك، "تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدن"، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر، 1995، ص125.

⁴ - حجيلان، ناصر، المرجع السابق، ص52.

⁵ - موسلي، عبد الفتاح، "الشخصية الروائية وطرائق دراستها في روايات نجيب الكيلاني أنموذجاً"، مجلة الآداب واللغات، العدد01، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2025، ص ص 40،41.

ثانياً: تصنيفات الشخصية الروائية

مهما تعددت الآراء حول تحديد مفهوم الشخصية، فإنها تظل عنصراً أساسياً من عناصر العمل الروائي، إذ تشكل أحد المكونات الرئيسية التي استأثرت باهتمام الدارسين والباحثين، باعتبارها المحرك الرئيسي للأحداث، وعن طريقها ينمو المسار السردى ويتطور، ونظراً لتعدد الشخصيات التي يوظفها الروائي داخل النص، واختلاف درجة حضورها وتواترها، فقد اختلف النقاد بدورهم في تقسيمها وتصنيفها إلى فئات متعددة، ويمكن الإشارة إلى أبرز هذه التصنيفات فيما يأتي:

1- تصنيف فلاديمير بروب (Vladimir Propp):

توصل بروب في دراسته للحكاية العجيبة إلى تحديد سبع شخصيات أو أدوار أساسية، وهي: المعتدي أو الشرير، الواهب، المساعد، الأميرة، الباحث، البطل، والبطل الزائف، وترتبط هذه الشخصيات، حسب رأيه، بإحدى وثلاثين وظيفة، ولم يدرس بروب الشخصية من حيث بنيتها النصية أو تركيبها، وإنما تناولها من خلال محورها الدلالي وما تؤديه من أفعال ووظائف داخل النص¹، وقد اختلفت تسميات هذه الشخصيات عند النقاد العرب؛ فمثلاً نجد عند صلاح فضل تسميات تقارب الأصل مع بعض التعديل في المصطلحات، ويشير هذا التصنيف إلى أن الشخصية عند بروب لم تعد تحدد بصفاتها، بل بالوظائف التي تؤديها داخل البنية السردية.²

2- تصنيف غريماس (A. J. Greimas):

عمل غريماس على تطوير نموذج بروب، فقدم تصوراً أكثر اكتمالاً، حيث قلص عدد الشخصيات إلى ستة عوامل هي: (المرسل، الموضوع، المرسل إليه، الذات، المساعد، والمعارض)، ويتشكل النموذج العائلي من خلال العلاقات القائمة بين هذه العوامل الستة. وقد استفاد غريماس من أبحاث بروب، لكنه استبدل مفهوم الوظائف أو الفواعل بمفهوم العوامل، مما جعله أكثر شمولاً في تحليل البنية السردية.³

¹ - الحميداني، حميد، "بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي"، المركز الثقافي العربى، الدار البيضاء، ط3، 2000، ص25.

² - الخفاجي، أحمد رحيم كريم، "المصطلح السردى في النقد الأدبي الحديث"، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011، ص25.

³ - إبراهيم، عباس، "تقنيات البنية السردية المغاربية"، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، (د ط)، 2002، ص156.

3- تصنيفات تودوروف (Tzvetan Todorov):

- يقسم تودوروف الشخصيات إلى ثلاثة أنواع:

- أ. الشخصية العميقة: وهي التي تؤدي وظيفة فكرية وتسعى إلى تثبيت أفكارها، وتتميز بالحيوية والحركة، وتقوم على أنساق متناقضة، وهي قريبة من الشخصية الديناميكية.
 - ب. الشخصية المسطحة: وهي شخصية محدودة السمات، لا تظهر إلا قليلاً، ولا تساهم بشكل كبير في الحبكة الروائية، وإن كانت قد تؤدي أدواراً حاسمة أحياناً.
 - ج. الشخصية الهامشية: وهي شخصية لا تحضر حضوراً فيزيائياً في عالم الرواية، وإنما يكون حضورها فكرياً من خلال أفكارها أو أطروحاتها.¹
- وعلى الرغم من اختلاف هذه الأنواع، فإنها جميعاً تسعى إلى تحديد دور الشخصية في السرد ومدى إسهامها في تحريك الأحداث.

4- تصنيفات هنري جيمس (Henry James):

- صنف هنري جيمس الشخصيات وفق علاقتها بالحبكة إلى نوعين:

- أ. الشخصيات الخاضعة للحبكة: وهي التي تظهر لتؤدي وظيفة معينة داخل تسلسل الأحداث، وسماتها بالخيط الرابط.
- ب. الشخصيات التي تخضع لها الحبكة: وهي شخصيات السرد السيكلوجي، حيث يكون الهدف من الحلقات السردية إبراز خصائصها النفسية وتطورها.²

5- تصنيفات فورستر (E. M. Forster):

يقسم فورستر الشخصيات إلى نوعين:³

- أ. الشخصية المعقدة الأبعاد (المدورة): وهي الشخصية التي تتمتع بتركيب معقد وتظهر بمظاهر متعددة قد تتسم بالتناقض، فلا تستقر على حال واحدة، بل تتطور باستمرار وتؤثر في غيرها.
- ب. الشخصية المسطحة: وهي الشخصية الثابتة التي تمضي على حال واحدة، ولا تعرف تغيراً كبيراً في أطوار حياتها.

¹ - منصور، أمال، "بنية الخطاب في أدب محمد جبريل -جدل الواقع والذات-"، (د ط)، (د ت)، ص 78.

² - بحراوي، حسين، "بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)"، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1990، ص 216.

³ - المرجع نفسه، ص 215.

وهذا التصنيف قريب من تصنيف تودوروف من حيث التمييز بين الشخصية المتطورة والشخصية الثابتة.¹

6- تصنيفات إدوين موير (Edwin Muir):

ربط "موير" بين الشخصية والحدث، فرأى أن الروايات تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

- أ. رواية الحدث: تكون فيها السيادة للحدث على حساب الشخصية .
 - ب. رواية الشخصية: حيث تكون المواقف والأحداث وسيلة لتقديم معرفة أعمق بالشخصيات .
 - ج. الرواية الدرامية: وهي التي يتحقق فيها توازن بين الشخصية والحدث، إذ تؤثر الشخصيات في الأحداث وتتأثر بها في الوقت نفسه .²
- كما تصنف الشخصيات حسب دورها داخل السرد إلى شخصيات رئيسية أو محورية، وأخرى ثانوية. فالشخصية الرئيسية تتميز بكثافة حضورها داخل النص، بينما تكون الشخصية الثانوية محدودة الظهور، وتؤدي وظيفة مرحلية فقط.³

7- تصنيف حسن بحراوي (Hassan Bahraoui):

صنف حسن بحراوي الشخصية إلى ثلاثة نماذج:

- أ. الشخصية الجاذبة: تتمثل في نموذج الشيخ والمناضل والمرأة .
 - ب. الشخصية الموهوبة: تتمثل في نموذج الأديب والإقطاعي والمستعمر .
 - ج. الشخصية ذات الكثافة السيكلوجية: تضم نموذج اللقيط ونموذج الشاذ جنسياً .
- ومنه، يمكن القول إن الشخصية مهما اختلفت التصورات النقدية حول تحديد ماهيتها، فإنها تظل عنصراً أساسياً ومهماً في بناء العمل الروائي، لارتباطها الوثيق بالحدث السردى. غير أن تعدد الشخصيات واختلاف أدوارها ووظائفها داخل النص جعل النقاد يتباينون في تصنيفها إلى فئات متعددة، وفق منطلقات نقدية ومنهجية مختلفة.⁴

¹ - مرتاض، عبد المالك، "تحليل الخطاب السردى"، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، (د ط)، 2005، ص 88

² - الأشلم، حسن، "الشخصية الروائية عند خليفة حسن المصطفى"، مجلس الثقافة العام، بيروت، (د ط)، 2006، ص 48.

³ - بحراوي، حسين، المرجع السابق، ص 215.

⁴ - المرجع نفسه، ص 322.

ثالثاً: وظائف الشخصية في الرواية

تمثل الشخصية أداة فنية مهمة يعتمد عليها الكاتب في تحريك العمل السردى وتطوير أحداثه، فهي المحور الرئيس الذي يقوم عليه الخطاب الروائي، ولا يمكن تصور عمل روائي متكامل دون شخصيات فاعلة، لأن الرواية من دونها تبدو ناقصة ومبتورة، فالشخصية هي التي تقود الأحداث، وتنظم الأفعال، وتمنح النص بعده الحكائي، كما تساعد في تحويل العالم المتخيل إلى عالم قريب من الواقع في ذهن القارئ، ولهذا تعدّ الشخصية العنصر الذي تتقاطع عنده مختلف العناصر الأخرى، كالمكان والزمان والحدث، مما يجعلها مركزاً تدور حوله باقي مكونات العمل الروائي.¹

كما تؤدي الشخصية الروائية وظائف متعددة داخل العالم التخيلي الذي يبده الكاتب، إذ لا تقتصر أهميتها على تحريك الأحداث فقط، بل تسهم أيضاً في تجسيد رؤية الروائي وأفكاره، وتمنح النص أبعاده الفكرية والجمالية²، فالكاتب لا يوظف شخصياته اعتباطاً، وإنما يجعل لكل شخصية دوراً محدداً وغاية معينة تخدم البناء العام للرواية. ومن هنا فإن رسم الشخصية يدخل في صميم القيمة الفنية والفكرية للنص، لأنها تجمع بين الوظيفة السردية والجمالية في آن واحد.³

وتتجلى أهمية الشخصية في قدرتها على الكشف عن الصلات القائمة بين ملامحها الفردية والأدوار التي تؤديها داخل العمل الروائي، ويمكن إبراز أهم وظائفها فيما يأتي:

1- فاعل الحدث:

تعدّ الشخصية الفاعل المركزي والمحرك الأساسي للأحداث داخل الرواية، إذ لا يمكن أن يحدث فعل أو يتطور حدث دون وجود شخصية تقف وراءه، فهي التي تمنح الحبكة حركتها، وتساهم في بناء الصراع وتطوره، سواء من خلال أفعالها أو من خلال تفاعلها مع الشخصيات الأخرى⁴، وبما أن الحدث في الرواية يقوم على تضارب القوى أو تلاقيها، فإن الشخصيات الرئيسة غالباً ما تجسد هذه القوى، فقد تكون محركاً لها أو خاضعة

¹ - بوعافية، أحمد، "بنية الشخصية في السرد من منظور النقد المعاصر، مجلة إشكالات في اللغة والأدب"، العدد 3، مخبر الموروث العلمي والثقافي لمنطقة تمنغست، الجزائر، 2022، ص ص 189، 190.

² - سلامة، محمد علي، "الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ"، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2007، ص 13.

³ - مسعودي، أمال، "حادثة السرد والبناء في رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج"، رسالة ماجستير، تخصص أدب عربي، جامعة المسيلة، الجزائر، 2007، ص 135.

⁴ - طالب، أحمد، "الفاعل في المنظور السيميائي"، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ط 1، 2002، ص 9.

لتأثيرها، ولهذا فإن الشخصية تؤدي أدوارًا متعددة، مثل القائد، والمعارض، والمساعد، والمرسل إليه، وغيرها من الوظائف التي تجعلها أساسًا في بناء الفعل السردي وتطوره.¹

2- العنصر التجميلي:

لا تخلو أغلب الروايات من شخصيات تبدو ثانوية أو قليلة الأهمية بالنسبة للحدث الرئيسي، وقد لا يكون لها تأثير مباشر في سير الحكمة، إلا أنها تؤدي وظيفة جمالية مهمة. فهذه الشخصيات تضيف على النص تنوعًا وحيوية، وتساعد الكاتب على رسم صورة أكثر اكتمالًا للعالم الروائي. كما تسهم في تجميل المشهد السردي وإغناؤه، إذ تمنح الرواية بعدًا فنيًا يجعلها أكثر واقعية وإقناعًا، ومن ثم فإن وجود هذه الشخصيات لا يكون عبثيًا، حتى وإن بدا دورها محدودًا، لأنها تشارك في بناء الجو العام للنص وتكسبه قيمة جمالية.²

3- الشخصية المعبرة:

كثيرا ما يلجأ الروائي إلى اتخاذ بعض الشخصيات وسيلة للتعبير عن آرائه وأفكاره، فيجعلها تتحدث بلسانه وتنقل رؤيته، فالشخصية هنا تصبح قناة فنيًا يختبئ خلفه الكاتب ليعبر عن مواقفه الفكرية أو الاجتماعية أو السياسية دون التصريح المباشر بها³، ومن خلال الحوارات والمواقف التي تعيشها الشخصية، يتمكن القارئ من إدراك الرسائل التي يريد الكاتب إيصالها، وبهذا تصبح الشخصية قناة تواصل بين الروائي والمتلقي، ووسيلة للكشف عن قضايا الواقع ومشكلاته من خلال التمثيل الفني لا الخطاب المباشر.⁴

4- إدراك الآخرين والعالم:

تؤدي الشخصية الروائية وظيفة مهمة في تمكين القارئ من فهم الآخرين وإدراك العالم المحيط به. فمن خلال تصرفات الشخصية، وردود أفعالها، وطريقة تعاملها مع الأحداث، يستطيع القارئ التعرف على أنماط بشرية مختلفة، وعلى طبيعة العلاقات الإنسانية والاجتماعية. كما تساعد الشخصية على نقل رؤية أوسع للعالم، بما يتضمنه من أفكار وصراعات وقيم، وغالبًا ما يجد القارئ نفسه في بعض الشخصيات، فيتفاعل معها، ويقارن بينها وبين واقعه الشخصي، مما يجعل الرواية وسيلة لفهم الذات والآخر في آن واحد.⁵

¹ - غرابية، عامر، "الشخصية الروائية وظيفتها أنواعها سماتها مدونة عامر غرابية إطلالة على الواقع والتحويلات"، الأردن (دط)، (دت)، ص 5

² - المرجع نفسه، ص 6، 5.

³ - المرجع نفسه، ص 7.

⁴ - مسعودي، أمال، المرجع السابق، ص 136.

⁵ - غرابية، عامر، المرجع السابق، ص 7.

المبحث الثاني: التمثيل الروائي للتحوّل الاجتماعي

يشكل مفهوم التمثيل الروائي للواقع الاجتماعي أحد الإشكاليات المركزية في النقد الأدبي المعاصر، ذلك أن الرواية بوصفها "الجنس الأدبي الأكثر قدرة على تمثيل الواقع الذي يعاني الشتات من حيث الرؤية والوضوح، بواسطة السرد الذي يتيح إمكانيات متعددة في الربط بين ما نحياه ونتخيله"¹.

وهي "الصورة التي تعكس الواقع بتفاصيله وتجلياته، حيث يُعدّ الواقع الاجتماعي أحد أهم القضايا في صلب موضوع وإشكاليات الرواية"²، "لأن الواقع الاجتماعي يتداخل فيه العناصر الثقافية، والاجتماعية، والسياسية، والتاريخية، والفكرية، دون حصول الانفصال أو الانقطاع بينها، لأن ذلك سيفقد الرواية دورها الحقيقي"³.

أولاً: التمثيل الروائي (المفهوم والآليات)

تُجمع نظريات علم الجمال المختلفة على تعريف الواقعية بأنها "إعادة إنتاج الواقع فنياً بأقصى ما يمكن من أمانة"⁴ لكن هذا التعريف يحمل في طياته إشكالاً منهجياً، إذ أن "الواقع لا يظهر بشكل واضح يمكن القبض على أسسه وفهمه إلا من خلال وضعه في سياقات معرفية مختلفة وأسئلة متعددة"⁵. وعليه "تلعب الرواية دور الوسيط في تشخيص الواقع ونقله سردياً إلى القارئ بواسطة الخيال السردى"⁶.

يمكن القول إن "الرواية هي الجنس الأدبي الأكثر قدرة على تمثيل الواقع تمثيلاً حياً، فالسرد يمدنا أساساً بالوسائل التي تساعد على تشخيص مجموعة من الحقائق في صور حياتية هي الرابط بين واقع نحياه في غفلة عن قوانينه، وبين عوالم ممكنة تصفي التجربة وتدفعها إلى المخيال"⁷.

¹ - هياجي، محمد، "الرواية والواقع الاجتماعي"، موقع Hiragate، لا توجد دار نشر، 5 مارس 2025، ص 2.
² - الخديري، رشيد، "الرواية والواقع.. إشكال العلاقة"، موقع ضفة ثالثة، لا توجد دار نشر، 4 نوفمبر 2022، ص 7.
³ - المرجع نفسه، ص 10.
⁴ - هياجي، محمد، المرجع السابق، ص 4.
⁵ - المرجع نفسه، ص 5.
⁶ - الخديري، رشيد، المرجع السابق، ص 12.
⁷ - هياجي، محمد، المرجع السابق، ص 6.

وهذا ما يؤكد الناقد المغربي عزيز العريايي بقوله: "يمثل النص السردي عامة، والروائي خاصة، من حيث كونه نصاً أدبياً متخيلاً، في عمومته، الصور التي تعكس الواقع بتفاصيله وتجلياته، حيث يقوم بتمثيل مكونات الواقع الاجتماعي"¹.

يُعتبر السرد "وسيلة جبارة في نسج وإعادة تكييف الأحداث الواقعية والمتخيلة وتوزيعها في ثنايا النص الروائي، وتمثيل المرجعيات الثقافية، والتعبير عن الرؤى والمواقف الرمزية"².

ولم تعد الرواية "رهينة التوثيق التقليدي، فقد تشققت من أساس التجربة التقليدية التي واكبت نشأة الرواية وتطورها، وذلك يعود إلى تحول جذري في منظور الروائيين للعالم الفني الذي يشكلونه في نصوصهم"³.

ثانياً: الواقع الاجتماعي بوصفه رهاناً روائياً

يشكل الواقع "بالنسبة للرواية مصدر إلهام، ومرجعاً أصيلاً من حيث المنطلق، لا يمكن تجاوزه حتى وإن كان النص من وحي الخيال، لأن لكل قصة غاية يُرجى منها، ويتوخى تحقيقها، مما يفسر اللجوء إلى الرواية نتيجة محدودية وسائل الذات أمام إرادة الواقع"⁴.

وقد حاولت الرواية "بواسطة السرد التعبير عن المجتمع والكشف عن تناقضاته الظاهرة والخفية، من أجل تقريب الصورة الإبداعية والخطابية للقارئ"⁵.

يعتمد المنهج الاجتماعي على "ربط الأعمال الأدبية بواقعها الاجتماعي لإظهار المضامين الاجتماعية التي تصدر عنها"⁶. وينظر نقاد المنهج الاجتماعي للأعمال الأدبية على أنها تعبير عن "العلاقات الاجتماعية في تجلياتها الواقعية، إذ يمثل البعد الوجودي والاقتصادي والاجتماعي والواقعي الذي يعاني منه الإنسان"⁷. ويشكل "انتقاد الواقع وتعريه ما يخفيه أحد أهم مميزات الرواية"⁸.

¹ - العريايي، عزيز، "الرواية والواقع: إشكال التمثيل"، مجلة فصول، العدد 78، هيئة الكتاب المصرية، 2010، ص 45-46.

² - إبراهيم، عيد الله، "السرد والتمثيل السرد في الرواية العربية المعاصرة"، مجلة علامات، العدد 16، جامعة قطر، 2001، ص 3.

³ - المرجع نفسه، ص 5.

⁴ - الخديري، رشيد، المرجع السابق، ص 15.

⁵ - المرجع نفسه، ص 16.

⁶ - جليس، رشا عبد الفتاح محمد، "تمثيلات الربيع العربي في نماذج من الرواية العربية المعاصرة"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة البصرة، 2018، ص 30.

⁷ - المرجع نفسه، ص 31.

⁸ - المرجع نفسه، ص 33.

يرى الناقد إدريس الخضراوي "أن الأدب شأنه شأن الثقافة المرتبطة بالمجتمع، لأن فهمه يقتضي ربطه بحركة المجتمع، ليس ربطاً آلياً ميكانيكياً، وإنما من خلال إدراك الوسائل والسبل المتاحة أمام الروائي لتشخيص الأسئلة الملحة التي يواجهها الفرد ويكتوي بنارها"¹.

وعليه، "إن بناء المتخيل الروائي، لا تتحقق جماليته وفنيته إلا في انغماسه مع الواقع، وربط الصلات مع قضاياها وأسئلته الشائكة"².

ثالثاً: التمثيل الروائي للتحويلات الاجتماعية ما بعد الثورات

شكّلت الفترة اللاحقة لثورة 14 يناير في تونس "بدايةً صعود أعمال روائية جديدة، أهمّ ما يميّزها تناقضها شكلاً ومضموناً مع أنماط الكتابة السلطوية السائدة"³. وأشار الكاتب عامر بوعزة إلى "طفرة الكمّية الهائلة" التي شهدتها قطاع النشر بعد سقوط نظام بن علي، لاسيّما الكتب التي استجابت إلى أحداث الثورة ونتائجها⁴.

مثّلت "الثورة التونسية حدثاً سياسياً بامتياز، لكن الروايات التي كتبت عنها لم تتضبط لمدارها، بل شملت الحدث الاجتماعي والثقافي والنفسي والجمالي، بين رواية الأحداث ورواية الشخصيات ورواية الأمكنة"⁵.

"فالإرهاب والهجرة غير النظامية والعنف والعنصرية والسقوط الأخلاقي والذكورية والفساد والاحتلالات والإسلام السياسي... مثّلت سنداً روائياً وأفقاً تخيلية لأغلب الروائيين"⁶.

في زمن عربي مثقل بالتحويلات، لم تكن الرواية التونسية "مجرد استجابة جمالية لواقع متغيّر، بل جاءت بوصفها فعلٌ وعيٌ ومساءلة، وكتابة مقاومة للصمت والسرديات الجاهزة"⁷. لقد انتقلت الرواية التونسية "من كتابة الهم الوطني إلى تفكيك البنى العميقة للوعي الفردي والجماعي، ومن سرد الوقائع إلى مساءلة آليات تشكّلها في الذاكرة واللغة والجسد"، ففتحت السرد "على أسئلة السلطة، والهوية، والجندر، والمنفى، والذات القلقة"⁸.

¹ - الخضراوي، إدريس، "الرواية والواقع: مقاربة نقدية"، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الطبعة الأولى، 2015، ص 88.

² - المرجع نفسه، ص 92.

³ - المصري، وفيقة، "الرواية التونسية بعد الثورة: قراءة في الفضاء الهامشي"، موقع جبر (iber7)، لا توجد دار نشر، 3 نوفمبر 2021، ص 10.

⁴ - بوعزة، عامر، "اتجاهات جديدة في الرواية التونسية"، موقع آراء حرة (Opinions Libres)، لا توجد دار نشر، 19 مارس 2019، ص 4.

⁵ - "الثورة التونسية ورقصة الفالس" التي لم تكتمل!، الجزيرة نت، 12 يونيو 2024، ص 8.

⁶ - المصري، وفيقة، المرجع السابق، ص 14.

⁷ - الاتحاد العربي للثقافة، "السرد التونسي وأسئلة القلق: الرواية بوصفها كتابة للوعي والتحوّل"، منشور على فيسبوك، 2024، ص 5.

⁸ - الاتحاد العربي للثقافة، المرجع السابق، ص 7-9.

رابعاً: التمثيل الروائي في رواية "زمن الغبار"

تنبثق رواية "زمن الغبار" في ظل "التشوهات الفكرية التي انصبغت بها تنظيرات الإسلام السياسي وأطروحاته الأيديولوجية في العالم العربي وتونس خصوصاً"¹، لتولد "من رحم هذا القلق الوجودي" رواية "تفكك خطابه، وتفضح آلياته، وتتقد مبادئه التي تناقض المعطيات الدينية التاريخية"²، معتمدة "على المنهج العقلاني في التحليل والمقاربة النقدية، بالتحليلات والتفسير القرآنية والأحاديث النبوية والنقود الموضوعية المعززة بالأسئلة الفلسفية العقلانية العميقة"³.

تقدم الرواية "مشاهد وأحداثاً واقعية عن وضعية الأسر التي عانت من تفسير أبنائها إلى بؤر التوتر ولم تجد آذان صاغية لها وكذلك وضعية المسافرين الذين غرر بهم ليكتشفوا زيف ما وجدوه"⁴. ولا تكتفي الكاتبة بتصوير ما يتعلق بعائلة "ثريا" ومن ارتبط بها من شخصيات روائية، وإنما "تمتد لتحكي عن تونس في زمنين مختلفين: زمن ما قبل الثورة وزمن ما بعد الثورة"⁵.

تتميز الرواية بآليات سردية متقدمة تجسد التمثيل الروائي للواقع، منها "التمفصل السردى المزدوج" الذي يوزع الخطاب الروائي إلى "مسارين سرديين: ما قبل الثورة... وما بعد الثورة في ظل الانتقال السياسي والتحول الاجتماعي"⁶.

كما أن "أول ما يلفت انتباه القارئ في الأسلوب السردى لدى فاطمة بن محمود هو براعتها في التنقل السلس بين الأزمنة والأمكنة"⁷، ويمتد الزمن في الرواية على يومين (28 و 29 جويلية 2014)، وهو "زمن تصوري بمثابة شريط للذاكرة، يمر بسرعة قصوى كلما كانت الشخصيات في حالة قريبة من الغيبوبة"⁸.

تعدد المؤلفة في هذه الرواية "ضحايا التفكير الإسلامى المتعصب وهم الشباب وعائلاتهم والدولة ومسار التاريخ وحتى اللغة. الساردة نفسها ضحية، فهي نقص ما شهدته وشاهدته

¹ - عرجون، محمد الهادي، "التذكر والاستنكار من خلال رواية 'زمن الغبار'"، موقع Middle East Online، 19 مارس 2025، ص 7.

² - المرجع نفسه، ص 8.

³ - المرجع نفسه، ص 12.

⁴ - المرجع نفسه، ص 18.

⁵ - المرجع نفسه، ص 20.

⁶ - المرجع نفسه، ص 26-27.

⁷ - الفرشيشي، هيام، "الزمن والسرد والصور الأدبية.. في رواية 'زمن الغبار' لفاطمة بن محمود"، الصباح نيوز، 7 مارس 2024، ص 12.

⁸ - الفرشيشي، هيام، المرجع السابق، ص 14.

من ويلات الحرب والاعتصاب والتعذيب"¹. وتتخذ الكاتبة من "الذاكرة أداة لدى شخصيتي الرواية ربيع وأمه ثريا، في فضح أدوات السلطة حين تُخضع الوطن إلى ما يخدم أهدافها"².

يتبين مما سبق أن التمثيل الروائي للواقع الاجتماعي ليس عملية انعكاسية سلبية، بل هو عملية تركيبية معقدة، يتداخل فيها التخيل بالواقعي، والفني بالاجتماعي، والفردية بالجماعي³.

تزداد أهمية هذا التمثيل في سياق التحولات الاجتماعية الكبرى، مثل تلك التي شهدتها تونس بعد ثورة 2011، حيث تصبح الرواية "كتابة للقلق، وترجمة للتمزق، ومحاولة دائمة لإعادة سرد الذات في زمنٍ يتبدّل أكثر مما يُفهم"⁴.

وتأتي رواية "زمن الغبار" لتجسد هذه الوظيفة بامتياز، من خلال آليات سردية متقدمة، وتمفصل زمني مزدوج، وشخصيات تحمل هموم وطن بأكمله⁵.

¹ - عمران، الغربي، "«زمن الغبار» للروائية فاطمة بن محمود.. الذاكرة المرة لأبيئة الكراهية"، المصري اليوم، 28 فبراير 2024، ص 15.

² - عرجون، محمد الهادي، المرجع السابق، ص 22.

³ - الخديري، رشيد، المرجع السابق، ص 20.

⁴ - الاتحاد العربي للثقافة، المرجع السابق، ص 12.

⁵ - فاطمة بن محمود، "زمن الغبار"، الطبعة الأولى، دار زينب للطباعة والنشر (تونس)، 2023، ص 9-12 (من مقدمة الناشر).

المبحث الثالث: السياق التونسي بعد الثورة (الرواية بوصفها كتابة للوعي والتحول)

تعد الرواية من أكثر الأجناس الأدبية قدرة على رصد التحولات الاجتماعية وتجسيدها، ذلك أنها "عكست تحولات الفكر الإنساني والاجتماعي عبر التاريخ"¹. وإذا كانت الرواية التونسية المعاصرة قد شهدت نقلة نوعية في أعقاب ثورة 14 يناير 2011، فإن الاهتمام ببناء الشخصية الروائية وتوظيفها في معالجة القضايا الاجتماعية الراهنة يعد من أبرز سماتها.

يتناول هذا البحث دور الشخصية الروائية بوصفها أداة لتصوير التحول الاجتماعي في الرواية التونسية المعاصرة، مع الإشارة إلى رواية "زمن الغبار" للكاتبة فاطمة بن محمود بوصفها نموذجاً تطبيقياً.

أولاً: الشخصية الروائية: من كيان سردي إلى أداة للتفكيك الاجتماعي

في النقد المعاصر، لم تعد الشخصية الروائية مجرد عنصر حكائي ينهض بالأحداث، بل أصبحت "موضوعاً نظرياً تتقاطع فيه أسئلة الإنسان والمجتمع واللغة والبنية السردية"². وهي تجسيد لأنماط الوعي الاجتماعي والثقافي، تعيش قلقها مع العالم ومع ذاتها³. فالشخصية ليست انعكاساً مرآوياً سلبياً للواقع، بل هي فاعل حقيقي يمارس وظيفة جدلية: تعبر عن التغير الاجتماعي، وفي الوقت نفسه تساهم في تشكيله وإعادة تعريفه⁴.

ويمكن إجمال الاتجاهات النقدية الكبرى في دراسة الشخصية الروائية في أربعة مناهج رئيسية:⁵

- الاتجاه الاجتماعي الذي "يربط الشخصية بسياقها التاريخي والاجتماعي".
- الاتجاه الطليعي/الحديث الذي "يركز على البعد الوجودي والداخلي للذات".

¹ - يقطين، سعيد، "من قضايا الرواية العربية الجديدة: الرؤية والتشكيل"، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء - بيروت)، 2005، ص 55-60.

² - الأستاذ/ الكاتب (دون ذكر اسم محدد)، "بناء الشخصية الروائية بين التنظير والتطبيق في مفهوم الرواية"، مجلة Ultrasawt، العدد غير معروف، 9 أبريل 2026، ص 7-10، 14-18.

³ - مرتاض، عبد الملك، "في نظرية الرواية: مقاربات إبستمولوجية"، الطبعة الأولى، عالم الكتب الحديث (إربد - الأردن)، 2018، ص 122.

⁴ - الأستاذ/ الكاتب (دون ذكر اسم محدد)، المرجع السابق، ص 7-10.

⁵ - المرجع نفسه، ص 7-10.

- المنظور البنيوي الذي "ينظر إلى الشخصية بوصفها عنصراً داخل بنية سردية أو فاعلاً يؤدي وظيفة محددة في نظام الحكاية."
- المقاربات التفكيكية التي "تعيد مساءلة مفهوم الذات نفسه."
- ثانياً: آليات رصد الشخصية للتحول الاجتماعي.

تعتمد الشخصية الروائية لرصد التحولات الاجتماعية على مجموعة من الآليات التقنية والفنية:

1-آليات السرد والمناهج النقدية:

- المنهج العقلاني في التحليل والمقاربة النقدية، بالتحليلات والتفسير والنقود الموضوعية المعززة بالأسئلة الفلسفية العميقة.¹ إذ في هذا المستوى تتكفل هذه الآلية بفعل التفسير لأفعال الشخصية في الرواية ونقدها، وتصوغ عبرها الأسئلة التي تحمل هواجس المجتمع والذات الإنسانية.
- المنهج التفكيكي الذي يجعل الشخصية تنبش في التابوهات وتفكك الخطابات الأيديولوجية.²

2-آليات السرد الداخلية:

- التنقل السلس بين الأزمنة والأمكنة لرصد التحول في الوعي والمصير.³ و تعد تقنيّة التمهّل السردّي من أكثر الأساليب توظيفاً في هذا الشأن، وذلك بتوزيع الخطاب السردّي إلى مجالين أساسيين، مجال ما قبل، ومجال ما بعد.
- الذاكرة كأداة لفضح السلطة: حيث تجعل الشخصية من الذاكرة وسيلة لكشف آليات الهيمنة.⁴

¹ - عرجون، محمد الهادي، المرجع السابق، ص 10-14.

² - خالد. جمال الدين، "تفكيك الخطاب الروائي: مقاربات نقدية معاصرة"، الطبعة الأولى، منشورات ضفاف (بيروت)، 2019، ص 88-92.

³ - سليمان. نبيل، "الزمن والسرد في الرواية العربية"، الطبعة الثالثة، الهيئة العامة السورية للكتاب (دمشق)، 2010، ص 134-140.

⁴ - بن محمود. فاطمة، "زمن الغبار"، المصدر السابق، ص 120-125.

3- الوظائف المتعددة للشخصية:

تؤدي الشخصية وظائف متعددة: وظيفة الحكي (الراوي)، وظيفة الفضح (كشف زيف الأفكار)، وظيفة التوثيق (توثيق معاناة الفئات المهمشة)، ووظيفة المقاومة (مقاومة الانغلاق الفكري والتشدد)¹.

ثالثاً: السياق التونسي بعد الثورة

شكلت الفترة اللاحقة لثورة 14 يناير 2011 في تونس "بداية صعود أعمال روائية جديدة، أهم ما يميزها تناقضها شكلاً ومضموناً مع أنماط الكتابة السلطوية السائدة"². فبعد عقود من الرقابة، أصبحت الرواية التونسية "ساحة حية لتشريح الواقع وتعقيداته، مستفيدة من هامش الحرية المتاح لتوسيع آفاقها الفنية"³. وقد أشار عامر بوعزة إلى "الطفرة الكمية الهائلة" التي شهدتها قطاع النشر بعد ثورة 2011، ولا سيما الأعمال الروائية التي استجابت لأحداث الثورة ونتائجها⁴. وعبر محمد الهادي عرجون عن الوظيفة النقدية للشخصية بقوله إن "الرواية التي تعيش قلقاً وجودياً وصراعاً نفسياً مع الواقع المتغير" تقدم "مشاهد وأحداثاً واقعية عن وضعية الأسر" المتضررة من التحولات السياسية والاجتماعية⁵.

يمكن أن نستخلص أن الشخصية الروائية في الرواية التونسية المعاصرة لعبت دوراً محورياً في رصد وتجسيد التحولات الاجتماعية، خاصة بعد ثورة 14 يناير 2011. فقد تحولت الشخصية من كيان سردي محايد إلى فاعل ناقد، يعبر عن انشغالات المجتمع التونسي وهمومه، ويساهم في تفكيك الخطابات الأيديولوجية السائدة

وقد مثلت رواية "زمن الغبار" نموذجاً بارزاً في هذا السياق، حيث جعلت الكاتبة من شخصيتي "ثريا" و"ربيع" ومن "الذاكرة" أداة سردية لتفكيك خطاب الإسلام السياسي، وتسليط الضوء على قضايا تفسير الشباب والتحولات الاجتماعية بعد الثورة. كما أظهرت الدراسة نجاح البناء الفني للرواية، بتمفصله السرد المزدوج، في عكس التحولات على مستوى الشكل والمضمون معاً، ليكون السرد نفسه مرآة للزمن والتاريخ.

¹ عرجون، محمد الهادي، محمد الهادي، المرجع السابق، ص 26-34.

² المصري، وفيقة، المرجع السابق، ص 10-20.

³ المرجع نفسه، ص 10-20.

⁴ بوعزة، عامر المرجع السابق، ص 4-7.

⁵ عرجون، محمد الهادي، المرجع السابق، ص 61-62.

الفصل الثاني

بنية الشخصية في رواية "زمن الغبار" فاطمة بن محمود

- تمهيد

المبحث الأول: تصنيف الشخصيات في رواية زمن الغبار

المبحث الثاني: الفواعل السردية في رواية زمن الغبار.

المبحث الثالث: آليات بناء الشخصية في رواية زمن الغبار

المبحث الرابع: ملامح الشخصية في الرواية التونسية المعاصرة

- خلاصة

تمهيد:

تُعد دراسة الشخصية الروائية من أهم المداخل النقدية لفهم البنية السردية لأي عمل أدبي، إذ تمثل الشخصية مصدر الأحداث والأفكار والتحويلات الاجتماعية والنفسية داخل النص، وانطلاقاً من هذا التصور يهدف هذا الفصل إلى تحليل بنية الشخصية في رواية «زمن الغبار» للكاتبة "فاطمة بن محمود"، من خلال تتبع أبعادها المختلفة، سواء من حيث أنواعها ووظائفها، أو من حيث آليات بنائها داخل السرد، أو من حيث علاقتها بالسياق الاجتماعي والتاريخي الذي أنتجها.

ويكتسب هذا التحليل أهمية خاصة بالنظر إلى طبيعة الرواية التونسية المعاصرة بعد الثورة، حيث أصبحت الشخصية الروائية مرآة تعكس التحويلات العميقة التي شهدتها المجتمع، مثل صعود الإسلام السياسي، تفكك الأسرة، هجرة الشباب، وتراجع دور الدولة، ومن ثم لم تعد الشخصية مجرد عنصر فني داخل الحكاية، بل تحولت إلى مكون دال يحمل أبعاداً اجتماعية وأيديولوجية تعكس واقعا متوترا ومتشظيا.

تأسيساً على ذلك، يتفرع هذا الفصل إلى عدة عناصر تتناول تصنيف الشخصيات، ورصد تحولات الشخصية، وتحليل الفواعل السردية، ثم دراسة آليات بناء الشخصية، وصولاً إلى التعرف على ملامح الرواية التونسية المعاصرة، ويهدف هذا التدرج إلى تقديم رؤية شاملة لبنية الشخصية في الرواية، تكشف عن وظائفها الجمالية والدلالية داخل النص.

المبحث الأول: تصنيف الشخصيات في رواية "زمن الغبار"

يسعى هذا المبحث إلى تصنيف الشخصيات في رواية زمن الغبار حسب حضورها وأهميتها في بناء الأحداث، إضافة إلى تصنيفها حسب معيار الثبات والتطور، وإبراز مكانة كل شخصية داخل البنية السردية ودورها في دفع مسار الأحداث وتطورها.

أولاً: الشخصيات الرئيسية والثانوية

تُصنف الشخصيات الروائية، وفقاً لمكانتها في البناء السردى ومدى تأثيرها في تطور الأحداث، وفي رواية "زمن الغبار" يمكن تصنيفها إلى:

1- الشخصية المحورية (البطلة):

تعتبر الشخصية المحورية هي التي تنصدر الأحداث السردية وتكون محور الاهتمام في الرواية، تتميز بحضور مكثف، وتأثير أفعالها على سير الحكمة، وقدرتها على جذب تعاطف القارئ، غالباً ما تعاني من صراع نفسي أو اجتماعي، وقد تكون راوية للعالم أو محورية في تشكيل رؤية النص، فيروايات متعددة الأصوات، قد يكون هناك أكثر من شخصية محورية، لكن تبقى إحداهن الأكثر تأثيراً.¹

وفي رواية "زمن الغبار" تتجسد الشخصية المحورية (البطلة) في شخصية «ثريا» وهي أم "ربيع"، فتبنى الرواية من بدايتها إلى نهايتها على تجربتها الوجدانية والنفسية، بحيث تشكل محورا تدور حوله باقي الشخصيات والأحداث، وهي امرأة أربعينية، معلمة تعمل في التعليم الابتدائي، متزوجة من رجل هاجر إلى الخليج وتركها تواجه الحياة بمفردها، تسكن بيتاً صغيراً جعلت مدخله بستاناً صغيراً بأصص فخارية أطلقت عليها أسماء.

وبالنسبة لدورها المحوري في الرواية فهي الجانب العاطفي للرواية، وتصف الكاتبة شعورها بالضيق «قضت عمرها تتأرجح بين القلب والعقل، لم يهنأ القلب ولم ينتصر العقل»²، وفي لحظة يأسها أمام جامع الفتح، تصرخ: «يا ربي بجاه كل صلاة لك أعد إليّ ولدي حياً، أعد إليّ ولدي سالماً، أعد إليّ ولدي الآن؟»³، فتدور أحداثها من منظورها في

¹ - صبيحة عودة زغرب، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي، ط1، عمان، الأردن، 2010، ص131.

² - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص62.

³ - المصدر نفسه، ص72.

تونس، وهي التي تستعيد ذاكرتها باستمرار عبر تقنية الاسترجاع، تبدأ الرواية بإصابتها بهراوة حرس الرئيس أثناء محاولتها الصراخ «أريد أن أخبر رئيس الدولة بكل شيء»¹، وتبقى طوال الرواية راقدة في غرفة رقم (216) بمصحة الهناء، غارقة في ذاكرة تعذبها وتجلدها.

فكانت هذه الشخصية في الرواية رمزاً للأزمة المفجوعة، والمعلمة التي فشلت في إنقاذ ابنها من التطرف، والمرأة التي تخوض صراعاً مريراً مع زوج غائب، ومع سلطة متواطئة، ومع مجتمع يرفض سماع الحقيقة.

2/- الشخصية المركزية (المساعدة):

أما الشخصية المركزية المساعدة في رواية "زمن الغبار" هو «ربيع» الابن الوحيد "لثريا"، وهو المحرك الأساسي للأحداث، غيابه هو سبب معاناة ثريا، وحضوره السردي شكل خط سردي موازي ومكمل².

وبالنسبة للوصف السردي له، فوصفته الرواية بشاب في التاسعة عشرة من عمره، كان يحب كرة القدم، والموسيقى، وكان يستعد لامتحان البكالوريا³، تحول بعد لقائه بخيمة دعوية في الشارع إلى شاب سلفي يرتدي القميص الأفغاني الأبيض، ويطيل لحيته، وينقطع عن الدراسة وتعلق بجماعة "دولة الخلافة". يُصاب برصاصة في أول معركة له في سوريا، يرقد في مستشفى ميداني، وبالنسبة لدوره المحوري في الرواية فهو يرمز إلى صورة الشاب الذي تم خداعه واستدراجه إلى الحرب، حيث تعود به ذاكرته إلى طفولته الجميلة وحياته الهادئة، وإلى تعلقه بأمه وبأمل، فهو يحاول الهروب من واقع الألم والجريمة الذي أوقع نفسه فيه، هو ضحية للإسلام السياسي من جهة، لكنه يتحول أيضاً إلى جلد يشارك في قتل أسرة كاملة، ويستمتع بمشاهد الإعدام⁴.

أما الوظيفة السردية له، فتتجسد من مراحل التطرف، من الفضول، إلى الصداقة، إلى الدروس الدينية، إلى المخيمات الدعوية، إلى البيعة لأبي بكر البغدادي، إلى السفر عبر ليبيا

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار ، ص 09.

² - محمد الهادي عرجون، التذكر والاستذكار من خلال رواية "زمن الغبار"، مقالة إلكترونية منشورة يوم الأربعاء 19 مارس 2025، على الموقع: (<https://middle-east-online.com/node/793870>) تم الاطلاع يوم 2026-04-28 على الساعة (18.00)

³ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار ، ص 72.

⁴ - المصدر نفسه ، ص 81.

وتركيا إلى سوريا، ثم القتال والإصابة¹. فهو يشكل خطأ متتاميا للأحداث يحافظ على انبثاق السرد ويدفع بحركة السرد على الأمام.

3- الشخصيات الثانوية:

تعرف الشخصيات الثانوية بأنها تلك التي تظهر بشكل أقل من الشخصيات الرئيسية، لكن لها حضور مؤثر في الحبكة، قد تظهر في عدة مشاهد، وتساهم في توجيه الأحداث أو دعم الشخصيات الرئيسية أو إعاقتهما²، من بين الشخصيات الثانوية التي لها حضور وأثر في أحداث رواية "زمن الغبار":

– أمل: وهي حبيبة ربيع تتبعه إلى سوريا، وتتعرض لـ"جهاد النكاح". تتحول من عاشقة ساذجة إلى ضحية غاضبة ثم إلى هاربة مقاتلة، تصف الكاتبة صدمتها: «الآن فقط تتأكد ودون شك أن جهاد النكاح يعني أن تمنح جسدها للغرباء»³، فوظيفتها كشف وحشية التنظيم تجاه النساء.

– نادية: وهي سيبية كردية من سنجار (العراق)، تم سبيها بعد مذبحه عائلتها، تعيش كخادمة في البيت الكبير، وظيفتها السردية، تمثل ضحايا الأقليات (الإيزيديين)، وتكشف جرائم الإبادة الجماعية والسبي والاسترقاق التي مارسها التنظيم، وسرديا فهي شخصية تقوم بالنعرية والفضح.

– رشاد: صديق ربيع القديم والمخلص لثريا، يرافقها في البحث ويساندها. يقول لها: «الشرطة ستعيده حتماً ولو كان في بطن حوت، ثقي بي، لدي طريق آخر...»⁴، وظيفته السردية: الوفاء، ومساعد البطلة. فهو عنصر مساعد.

– أبو شداد/رامي: قائد تونسي في "دولة الخلافة"، كان طالب طب من عائلة ثرية، وهو المرشد الروحي لربيع ومثله الأعلى، وظيفته: تجسيد الطبقة المثقفة والثرية التي انحرفت إلى التطرف، وكشف عمليات القيادة في التنظيم.

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص 96.

² - صبيحة عودة زغرب، المرجع السابق، ص 132.

³ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص 177.

⁴ - المصدر نفسه، ص 90.

- أم سلمان: وهي المشرفة على بيت الفتيات المهاجرات، تعلن عن "جهاد النكاح": « هذه إحدى الطرق ليعود أبطالنا إلى محاربة أعداء الإسلام أشد قوة وبأساً...»¹ وظيفتها: تمثل سلطة النساء على النساء في التنظيم، وتجسيد التطرف الأنثوي.
- الكاتبة (فاطمة بن محمود): تظهر كشخصية داخل النص، هي التي تلتقي بثريا في الوقفات الاحتجاجية، وتسجل شهاداتها، وتلتقط صوراً لغرفة ربيع، وتكتب الرواية التي نقرأها ونقول: « أنا فاطمة بن محمود، نعم أحب أن أكتب حتى لا ننسى...»² وكانت وظيفتها: صوت التوثيق، وضمير الكاتبة الذي يخاف على ابنه من أن يتحول إلى ربيع، والمرآة التي تعكس أسئلة الذات الأنثوية أثناء الكتابة.
- مراد: حبيب ثريا القديم، يلتقي بها مصادفة في وقفة احتجاجية، فتكتشف أنه أصبح من أنصار حركة النهضة ويعيش في فرنسا، يكشف تناقض النخبة الإسلامية المهاجرة.
- أبو حمزة/رضا: تونسي كان حلاقاً، أصبح في منطقة الرقة مدرساً للأطفال ويقوم بتدريبهم عسكرياً واستغلالهم جنسياً.³

4/- الشخصيات الهامشية:

عادة ما تظهر هذه الشخصيات في مشهد أو مشهدين فقط، أو تذكر في سياقات سريعة وقصيرة، وظيفتها إضفاء الواقعية، أو نقل معلومات، أو خلق الجو العام، أو تجسيد فئة اجتماعية معينة دون تفصيل⁴، ومن الشخصيات الهامشية التي ذكرت إلا قليلاً وظهرت في مشاهد قصيرة في رواية "زمن الغبار"، منها:

- والد ربيع: زوج ثريا الذي هاجر إلى الخليج. يظهر فقط عبر الهاتف والمكالمات.⁵
- أم ربيع: وهي العجوز والدة ثريا تظهر في المصحة وفي البيت.
- أم ووالد أمل: يظهران في المشهد الافتتاحي للرواية، يمثلان العائلات الأخرى التي فقدت أبناءها.
- عماد: صديق ثريا القديم، يظهر في بضعة مشاهد.⁶

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص 87.

² - المصدر نفسه، ص 108.

³ - المصدر نفسه، ص 67، 68.

⁴ - جيرالد برانس، قاموس السرديات، (تر): السيد غمام، ميريت للنشر والمعلومات، ط1، قصر النيل، مصر، 2003، ص 151.

⁵ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص 136.

⁶ - المصدر نفسه، ص 169.

- المرمضة: تظهر في مشهد رعاية أمل وربيع.
- غادة: مغربية قطعت أصابعها لأنها كانت تعمل حلاقة وتظهر في مشهد قصير.
- أحلام السودانية: إحدى الفتيات في بيت أم سلمان.
- أم ليث: نمساوية اعتنقت الإسلام وجاءت للجهاد وتظهر في مشهد الدرس الديني.¹
- أبو عبد الله: القائد الشيشاني أحد "أزواج" أمل المؤقتين.
- أبو الحكيم: الزوج المؤقت الثاني لأمل.
- أبو عبدة: مسؤول في المستشفى.
- عمار، صابر، فيصل: أصدقاء ربيع المسافرين معه.
- سائق التاكسي: الذي ينقل ثريا من المصحة إلى البيت.²

ثانيا: تصنيف الشخصيات وفق معيار الثبات والتطور

- يمكن تصنيف هذه الشخصيات وفق تغييرها أو ثباتها في الرواية إلى أنواع، وهي:

1/- الشخصية النامية (الدائرية):

ويمكن تحديد الشخصيات النامية في نص الرواية إلى:

أ/- ثريا (البطلة): تمرّ شخصية "ثريا" بمسار تطور واضح عبر عدة مراحل تكشف تحولها النفسي والفكري، في المرحلة الأولى تظهر كأُم مطمئنة من خلال الذاكرة والاسترجاع، حيث كانت تمارس حياتها بشكل طبيعي، تعمل، تقرأ، تدخن، وتتخبط في العمل النقابي، وتحلم بمستقبل ابنها "ربيع"، معبرة عن ذلك بقولها: «كنت أحلم بوصوله للباكالوريا وها هو يصل وبدل أن ينشغل بدراسته يشغلي عنه»³، كما تستحضر لحظات حنانها حين كانت تدخل غرفته حاملة قهوة الشوكولا، وهي مرحلة تمثل زمن نقي قبل زمن الغبار، وفي المرحلة الثانية تتحول إلى أُم باحثة يائسة بعد اختفاء ربيع، فتندفع في رحلة بحث مؤلمة، تتجه إلى جامع الفتح حيث تهان وتطرد، ثم إلى مركز الشرطة دون جدوى،

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص 128.

² - المصدر نفسه، ص 205.

³ - المصدر نفسه، ص 103.

وتشارك في الاحتجاجات رغم الإحباط، وتختزل حالتها في هذا الوصف: «شعرت ثرياً أن الأرض تميد تحتها والسرير يميل بها تتلمس حافتيه وتشد بقبضتيها لا تريد أن تسقط»¹.

أما المرحلة الثالثة فهي لحظة صدمة وانهيار عقب سماعها تصريح رئيس الوزراء الذي ينفي تسفير الشباب، فتتلقى الخبر كصدمة عنيفة: «انفضت ثرياً كأنّ أفعى لسعتها... شعرت أن صعقة كهربائية هزتها وطار عقلها وبسرعة خاطفة تحولت إلى كتلة هائجة تلطم رأسها بيديها وتصرخ...»²، وتبلغ ذروة الاختناق النفسي في قولها داخل التاكسي: «شعرت ثرياً أن قلبها ينتفض... أريد أن أخرج، أتنفس، أطيّر، أريد أن أتلأشى وأتحول إلى قشة أو ذرة في الهواء...»³، لتنتهي هذه المرحلة بسقوطها أمام الناس، وفي المرحلة الرابعة، تتجه نحو نوع من الصمود عبر الذاكرة والقراءة، إذ تعود إلى البيت وتلجأ إلى غرفة ربيع، وتقرأ رواية "زمن الغبار"، وفي المشهد الأخير: «مازالت ثرياً في الصالون تتابع بوجوم تفاصيل العملية الإرهابية... فتحت الرواية لتقرأها... ربيع تعال يا ولدي أسرع.. لا أحب أن يفوتك الإفطار»⁴، وهو نداء يجمع بين الانهيار والأمل، حيث لا تستعيد ابنها لكنها ترفض نسيانه، فيغدو تطورها قائماً على الصمود لا الحل.

ب/- ربيع "ابن ثرياً": يمر ربيع بأربع مراحل أيضاً، في البداية يظهر كشاب عادي، يحب كرة القدم والموسيقى، وتستحوذ غرفته على صور ميسي وكلاي وكافون: «كانت غرفته مزدانة بصور مختلفة... صورة لمغني الراب التونسي الشهير كافون...»⁵.

كما عاش علاقة بريئة مع أمل: «كان ربيع وأمل يجلسان على صخور الشاطئ... ويتضحان... كان يحب أن يسمى ابنته منها مايا...»⁶.

ثم يبدأ انجرافه نحو التطرف بعد احتكاكه بالدعوة، فيغير مظهره ويقطع مع ماضيه، حيث «أزاح كل الصور المعلقة في غرفته وثبت في قلبه آيات من الذكر الحكيم»⁷، ويتبنى

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص 72.

² - المصدر نفسه، ص 206.

³ - المصدر نفسه، ص ص 206، 207.

⁴ - المصدر نفسه، ص 213.

⁵ - المصدر نفسه، ص 96.

⁶ - المصدر نفسه، ص ص 85، 96.

⁷ - المصدر نفسه، ص 96.

خطابا متشددا: «لا معنى للديمقراطية بل إنها كذبوقراطية...»¹، ويردد: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»².

وفي مرحلة أخرى يتحول إلى شخص عنيف في سوريا، مشاركاً في مشاهد القتل ببرود، فتقول الرواية «هوى عليه المثلث البطل الشجاع بسيفه... فانفصل رأسه...»³، وتضيف: «انصب رصاص الكلاشينكوف على أجسادهم...»⁴، بل ويشهد تعذيب المنسحبين: «رميهم في الماء المغلي... جلودهم تسليخ...»⁵.

أما المرحلة الأخيرة، حيث يُصاب في أول معركة ويهمل في المستشفى، يعاني العطش والعجز، فتقول الرواية «لم يأت الطبيب بعد... لا يملك القدرة إلا على الأنين»⁶، لينتهي به الأمر منهاراً بين الحنين والانتماء، قبل أن «توقفت ذاكرته تماماً... استسلم لغيوبية عميقة جداً...»⁷، وهكذا ينتقل من شاب عادي إلى جلال إلى ضحية في مسار مأساوي مكتمل.

ج/- أمل "حبيبة ربيع": تمر أمل بثلاث مراحل تكشف تطورها، تظهر في البداية كفتاة عاشقة، طالبة مجتهدة تعيش علاقة رومانسية مع ربيع، حيث «كانا يغرقان في الضحك ثم يختلفان... ويعلو ضحكهما»⁸، وتتبعه إلى سوريا بدافع الحب، إذ «تركت الحياة خلفها وأملها الكبير ولحقته حتى تكون إلى جانبه في الأرض المقدسة»، في مرحلة ثانية تصطدم بالواقع في الرقة، حيث تتحول إلى ضحية لـ «جهاد النكاح»، كما يعلن: «هذه إحدى الطرق ليعود أبطالنا إلى محاربة أعداء الإسلام... يعني جهاد النكاح»⁹، لتدرك أن جهاد النكاح يعني أن تمنح جسدها للغرباء (ص 216)، وتبدأ في طرح أسئلة وجودية: «هل هذا هو الإسلام؟... كيف يبررون العنف... وأي إله يرضى بكل هذا الظلم...»¹⁰.

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص 149.

² - المصدر نفسه، ص 58.

³ - المصدر نفسه، ص 98.

⁴ - المصدر نفسه، ص 110.

⁵ - المصدر نفسه، ص 98.

⁶ - المصدر نفسه، ص 96.

⁷ - المصدر نفسه، ص 204.

⁸ - المصدر نفسه، ص 86.

⁹ - المصدر نفسه، ص 87.

¹⁰ - المصدر نفسه، ص 186.

أما المرحلة الأخيرة فتتمثل في انتقالها إلى المقاومة عبر تضامنها مع نادبة والتخطيط للهروب، حيث «ربطت نادبة اللحافين... وتنزلق بهدوء»¹، لينتهي الأمر بنجاتهما: «شعرتا نادبة وأمل أنهما ستلتقيان بالحياة من جديد...»²، وهكذا تتحول أمل من ضحية سلبية إلى ناجية تقاوم، محققة نهاية مفتوحة.

2/- الشخصية الثانوية (المسطحة):

- في رواية "زمن الغبار" يمكن رصد عدة شخصيات ثابتة، منها:

أ/- أم سلمان: منذ أول ظهور لها إلى آخر مشهد، تبقى السيدة السورية الخمسينية المتشددة التي تؤمن تماما بولاء "جهاد النكاح"، فعندما تشرح مفهوم هذا الجهاد تقول: «هذه إحدى الطرق ليعود أبطالنا إلى محاربة أعداء الإسلام أشد قوة وبأسا... ستفهم هذا جيدا لاحقا»³، وتطبق تعاليم "دولة الخلافة" بكل حرفية، وتتحكم في الفتيات بقسوة ونعومة في آن واحد. لا تخضع لأي تطور عاطفي. حتى عندما تكتشف هروب أمل ونادبة، يبقى رد فعلها متوقعا (الغضب والعقاب)، فهي شخصية ثابتة وظيفتها تمثيل جهاز القمع النسائي داخل التنظيم، ولا تتطور مشاعرها.

ب/- أبو شداد (القائد): يبقى القائد التونسي الهادي، المخلص لـ "دولة الخلافة" من البداية إلى النهاية، لم يظهر أي تردد أو خيانة أو انهيار، لا نعرف عن مشاعره الداخلية شيئا، يظهر فقط كشخصية وظيفية ثابتة وتكون دائما (قيادة وتخطيط وتوجيه).

ج/- مراد: مراد الذي أصبح من أنصار حركة النهضة بينما يعيش في فرنسا، يظهر في مشهد واحد لكنه يكشف تناقضا لا يتغير، فحواره مع ثريا يظهر ثبات موقفه المناق، تقول له: «أنت تعيش في فرنسا، في بلاد كافرة»⁴، ويتردد ثم يقول: «في الحقيقة لا، حياتي كلها أصبحت هناك..»⁵، مراد هو نموذج للشخصية الثابتة التي تعيش ازدواجية القيم دون أن تتطور نحو التكامل أو الاعتراف بالتناقض.

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص ص 199، 200.

² - المصدر نفسه، ص 201.

³ - المصدر نفسه، ص 87.

⁴ - المصدر نفسه، ص 137.

⁵ - المصدر نفسه، ص ص 136، 137.

د/- نادية (الإيزيدية) نادية هي شخصية ثابتة تظهر في معاناتها، رغم أنها تتعاون مع أمل للهروب، إلا أن دورها الأساسي هو تقديم صورة ثابتة لضحايا الإبادة الجماعية والسبي، قصة حياتها مروعة ولا تتغير: «ذبح الأم أمام عينيها، السبي، البيع في سوق النخاسة، الاستعباد الجنسي..»¹، فهي شخصية ثابتة من حيث الانكسار، لكنها تكتسب قوة دافعة واحدة نحو الهروب، ثباتها هو في كونها رمزا ثابتا لضحايا الإبادة الجماعية.

3/- الشخصية المترددة :

- بالنسبة لهذه الشخصيات في نص الرواية فيمكن تحديدها في :

أ/- رشاد : رشاد هو الصديق المخلص لثريا، لكنه في الوقت نفسه يعرف السلفيين من الداخل لقربه منهم، يتردد بين مساعدة ثريا والبقاء على الحياد، وتردده ظهر في لحظات صمته وعدم إفصاحه عن كل ما يعرفه، يدخل جامع الفتح ويخرج باجابات غامضة: «لا شيء التقيت ببعض أصدقائه... جميعهم لهم نفس الإجابة لا يدرون شيئا»²، وتوظيف التردد كان في إظهار صعوبة الانفصال عن الجماعة والخوف من العواقب.

ب/- والد ربيع : والد ربيع (زوج ثريا) اختار الهجرة إلى الخليج، لكن تردده ظهر في مرحلة اتخاذ القرار، تصف ثريا ذلك: «سافر إلى الخليج من أجل العمل... يقدم تبريرات لا تقنعها لأنه يهرب من حياة زوجية لا يتحمل ضغوطاتها»³

ج/- بعض الفتيات: وهنأ قصي التي حاولت الهرب ثم عوقبت، وغادة التي قطعت أصابعها، فهن شخصيات ترددت بين الطاعة والعصيان، لكن تم قمع ترددهن بسرعة.

¹- فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص144.

²- المصدر نفسه، ص77.

³- المصدر نفسه، ص104.

المبحث الثاني: الفواعل السردية في رواية "زمن الغبار"

نتطرق هنا للفواعل السردية في رواية "زمن الغبار" من خلال تحديد أدوارها الأساسية في تحريك الأحداث وبناء مسارها داخل النص، ويمكننا تحديدها في:

أولاً: الذات

في نص الرواية يمكن تحديد الذات من خلال تتبع حضورها داخل السرد ودورها في تشكيل التجربة الروائية وتوجيه مسار الأحداث:

1/- ثريا (الأم الباحثة عن ابنها):

يقوم الفعل السردى للذات لشخصية ثريا على البحث ثم المواجهة ثم محاولة كشف الحقيقة، تبدأ حركتها منذ لحظة اختفاء ابنها ، فتتحول من أم عادية إلى ذات قلقة لا تتوقف عن الفعل، يتواصل فعلها بالبحث في أماكن مختلفة رغم الخوف والإحباط، وتعبّر عن دافعها بوضوح: «أريد ولدي فقط... سأجعلهم يندمون ويعتذرون وسيأتون بولدي طوعاً أو كرها»¹، كما يتخذ فعلها بعداً احتجاجياً، وتشارك في الوقفات الاحتجاجية، وانتقالها من ذات فردية إلى ذات مقاومة جماعية، ويبلغ فعلها ذروته بمحاولة إيصال صوتها إلى أعلى سلطة، حيث تصرخ: «أريد أن أخبر رئيس الدولة بكل شيء»، وهو فعل يكشف انتقالها من البحث عن ابنها فقط إلى فضح منظومة كاملة.

حتى بعد إصابتها ودخولها المصحة، يستمر الفعل داخلياً عبر الإصرار والذاكرة: «ما زالت مصرة ستخبر رئيس الدولة بكل ما يحدث...»²، كما أن ذاكرتها نفسها تصبح فعلاً مستمراً: «الذاكرة تسير إلى الأمام...»³، أي أنها تستعيد الماضي لتقاوم به الحاضر، بذلك تتحدد ثريا كذات مأساوية، لأن أفعالها لا تحقق الهدف النهائي (استعادة ربيع)، لكنها تظل ذاتاً فاعلة حتى النهاية، تتحول من البحث الفردي إلى المواجهة، ثم إلى الوعي النقدي والمقاومة عبر الذاكرة، دون أن تستسلم أو تتلاشى.

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار ، ص78.

² - المصدر نفسه، ص103.

³ - المصدر نفسه، ص190.

يمثل ربيع ذاتا سردية فاعلة، حيث يقوم فعله على الانخراط في القتال والدفاع عن ما يسميه "دولة الخلافة"، ساعيا إلى تحقيق هدف يراه ساميا وهو نيل "الشهادة". يبدأ مساره منذ لحظة احتكاكه بالدعوة السلفية أمام المعهد، ثم يتدرج في حضور الدروس، ويقطع صلته بعائلته وماضيه، قبل أن يسافر إلى سوريا، حيث يتحول من شاب عادي إلى عنصر مقاتل داخل التنظيم، يتجلى فعله السردى في أقواله وسلوكياته، إذ يعبر عن اندماجه الكامل في المشروع الجهادي بقول الرواية: «جاء ليكون مقاتلا من أجل أن تُرفع الراية السوداء عاليا»¹ كما يردد شعارات العنف التي تعكس تبنيه المطلق للفكر المتطرف: «الدم الدم والهدم الهدم والعدو يدفع الثمن»² ويبلغ هذا الفعل حد سعيه نحو الموت بوصفه غاية: «اللهم ارزقني الشهادة في سبيلك»³.

غير أن مسار شخصية "ربيع" تكشف مفارقة حادة حيث يتحول من ذات فاعلة تمارس القتل والعنف إلى ذات عاجزة مفعول بها، بعد إصابته وإهماله في المستشفى الميداني، حيث يفقد القدرة على الفعل تدريجيا، وبذلك تتحدد طبيعته كذات مضللة، سعت وراء هدف وهمي، لتنتهي في وضع مأساوي دون أن تحقق الغاية التي آمنت بها.

ثانيا: الموضوع

في هذا الجزء سيتم التطرق إلى الموضوع في رواية زمن الغبار، حيث تعتمد الرواية على ذاتين، لكل منهما موضوعه وهدفه الخاص:

1/- موضوع ثريا (البطلة):

شخصية ثريا هي الفاعل السردى الأساسي في هذا المسار، لأن كل أفعالها تنطلق من دافع واحد، لذلك يتحول الموضوع عندها إلى سلسلة أفعال متتابعة: (البحث، السؤال، المواجهة، الاحتجاج، ثم محاولة فضح الحقيقة)، يتمثل موضوعها في الهدف المباشر في

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص125.

² - المصدر نفسه، ص111.

³ - المصدر نفسه، ص124.

استعادة ابنها "ربيع" فتقول: «أريد أن يعود إلي ولدي سالما، لا أريد شيئا غير أن يعود لي ولدي»¹ ومع تعثرها، تتوسع أهدافها لتشمل معرفة الحقيقة وفصح تجنيد الشباب ومحاسبة المسؤولين، فتقول: «يجب أن نرفع أصواتنا بكل الطرق حتى يعيدوا إلينا أكبادنا، أكتبيها حتى لا ننسى»²، وعندما تُكذَّب هذه الحقيقة رسمياً، يصبح هدفها تثبيتها ومقاومة إنكارها: «هل يعني أن كل ما عاشته أوهام؟»³، ورغم فشلها في استعادة ربيع، فإنها تحقق بعداً رمزياً يتمثل في حفظ الذاكرة ومقاومة النسيان.

- ويمكن تلخيص موضوعات هذه الشخصية البطلة في: الهدف المباشر (استعادة ابنها حيا سالما)، وأهداف متوسطة (معرفة حقيقة ما حدث لابنها/فضل علميات التجنيد/محاسبة المسؤولين/إيصال صوتها إلى رئيس الدولة) وأهداف رمزية (مقاومة النسيان والغبار/الحفاظ على ذكرى ربيع حية).

2/- موضوع ربيع :

يسعى ربيع إلى نصرته "دولة الخلافة" ونيل الشهادة، ويؤكد استعداده للموت: «وددت أن أقتل في سبيل الله...»،⁴ غير أن هذا الهدف يتفكك في النهاية، إذ يتحول إلى رغبة غريزية في البقاء: «يحتاج أن يشرب... لم يأت الطبيب بعد...»⁵، وهنا تظهر المفارقة، حيث يسعى للموت بوصفه خلاصاً، لكنه يواجه موتاً مهماً ومهيناً، ويمكن تلخيصها أيضاً في: (الدفاع عن دولة الخلافة ونصرة الدين الإسلامي/إثبات جدارته أمام قائده أبي شداد/المشاركة في المعارك/نيل شهادة الموت في سبيل الله/الفوز بالجنة وحرور العين)

3/- تداخل الموضوعين:

يقوم جوهر الصراع على التناقض بين هدفين: ثرياً تسعى إلى إنقاذ حياة ربيع، بينما يسعى هو إلى الموت بوصفه شهادة، هذا التعارض لا يحل داخل الرواية، بل يُقدم كصراع تراجيدي مفتوح يمنح النص عمقه الإنساني والفكري.

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص73.

² - المصدر نفسه، ص108.

³ - المصدر نفسه، ص207.

⁴ - المصدر نفسه، ص172.

⁵ - المصدر نفسه، ص96.

ثالثاً: المرسل

يقصد بالمرسل: القوة أو الشخص أو القيمة التي تدفع الذات لبدء الرحلة السردية وتشجيعها على الاستمرار، قد يكون شخصاً، أو قيمة مجردة، أو حدثاً خارجياً¹، وأما في رواية "زمن الغبار"

1/- بالنسبة للشخصية البطلة (ثريا):

تتحكم في فعل شخصية البطلة "ثريا" مجموعة من الدوافع التي تدفعها للاستمرار في البحث عن ابنها ومواجهة الواقع، ومنها الحب الأمومي العميق الذي يمثل الدافع الأساسي لسلوكها، ويتجلى في قلقها الدائم وإحساسها بالخطر: «قلبي ينبئني بسوء هذه المرة»²، إضافة إلى تعلقها بربيع ورغبتها في بقائه قريباً منها: «أحتاجك كثيراً في بيتنا»³.

كما يشكل "رشاد" عنصر دعم ومساندة يوجهها ويمنحها بعض الأمل، خاصة من خلال طمأننتها وإقناعها بإمكانية عودة ابنها: «الشرطة ستعيده حتماً ولو كان في بطن حوت»⁴. وتبرز الكاتبة "فاطمة بن محمود" كعامل توثيقي، إذ يجعلها حضورها تشعر بأن معاناتها ستتحول إلى شهادة مكتوبة، فتؤكد: «نعم، يجب أن يكتب أحدهم كل هذه الجرائم التي تحدث في بلادنا باسم الدين»⁵، إلى جانب ذلك، يلعب الألم نفسه دور المرسل السلبي، حيث يدفعها إلى الفعل بدل الاستسلام، كما يظهر في غضبها ورغبتها في الانتقام: «أعرف كيف أنتقم لولدي من هؤلاء الجرذان...»⁶ ثم استمرارها في المواجهة رغم الانهيار.

2/- بالنسبة للشخصية المركزية (ربيع):

يتأثر ربيع بمجموعة من العوامل التي تواجه مساره نحو التطرف، يأتي في مقدمتها أبو "شداد/رامي"، الذي يمثل القائد والمرشد ويؤثر فيه بشكل مباشر، إذ يراه قدوة يسعى لإرضائها، كما تلعب الجماعة السلفية في جامع الفتح دور في التلقين الأولي وتشكيل وعيه الديني الجديد، إضافة إلى الفضاء الدعائي الإلكتروني الذي يضخ صوراً وأناشيد تحفز به باستمرار: «يفتح دائماً روابط تطل على دولة الخلافة... ويزداد حماسه..»¹، ويشكل

¹ - نجاة وسواس، الأطر اللسانية للسرديات، مجلة التعليمية، العدد الحادي عشر، المركز الجامعي تيسمسيلت، الجزائر، 2017، ص56.

² - المصدر نفسه، فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص148.

³ - المصدر نفسه، ص148.

⁴ - المصدر نفسه، ص90.

⁵ - المصدر نفسه، ص108.

⁶ - المصدر نفسه، ص78.

¹ - المصدر نفسه، ص98، 97.

غياب الأب عاملاً نفسياً مهماً، حيث يدفعه للبحث عن بديل رمزي، كما يؤثر الوعد بالجنة وحوار العين في تشكيل دوافعه: «الجنة أروع من كل هذا...»¹.

رابعاً: المرسل إليه

هو المستفيد من أفعال الذات، قد يكون الذات نفسها، أو شخصاً آخر، أو كيانه مجرداً، قد يتطابق مع المرسل عندما يكون الحب هو الدافع والمستفيد هو المحبوب.

بالنسبة للشخصية المحورية "ثريا" (البطلة) فيظهر أول مرسل إليه هو ابنها "ربيع" نفسه، فهو الهدف المباشر لكل أفعالها، حيث تسعى إلى إنقاذه وإعادته، حتى عندما تخاطب السلطة تقول: «أريد أن أخبر رئيس الدولة بكل شيء»²، في امتداد غير مباشر للدفاع عنه، كما يتسع المرسل إليه ليشمل الأمهات الأخريات، حيث يتحول الألم الفردي إلى تضامن جماعي، فتقول: «يجب أن تتحرك الحكومة وتناصرهم في محنتهم وتوقف هذا النزيف...»³، ويمتد أيضاً إلى المجتمع التونسي، إذ تسعى لحمايته من خطر التطرف، فتؤكد: «يجب أن يتحمل السياسي مسؤولياته...»⁴، وفي العمق تصبح شخصية البطلة نفسها مرسلًا إليه غير مباشر، لأن فعل البحث عن ابنها يمنحها سبب للاستمرار في الحياة، ويمنع انهيارها التام.

كما يظهر المرسل إليه في شخصية "ربيع" ابن (البطلة) وذلك في "دولة الخلافة"، حيث يوجه إليها أفعاله وتضحياته بهدف دعمها وتوسيعها، كما يشكل التنظيم وقادته، خاصة أبو شداد، مرسلًا إليه أساسياً، لأنه يسعى إلى نيل رضاهم وإثبات ولائه، تقول الرواية: «يجب أن يثبت لقائده أن تلميذه وفي له...»⁵، ويمتد المرسل إليه إلى الذات الإلهية، وفق تصور ديني محرف، حيث يعتقد أنه يقاتل في سبيل الله: «ربّي اغفر لي ذنوبي...»⁶.

كما يظهر "ربيع" نفسه كمرسل إليه ضمني، إذ يبحث عن المجد الشخصي وإثبات الذات، حتى وإن غلف ذلك بالدين، إضافة إلى تصويره أن المجتمع التونسي هو المستفيد من مشروعه، رغم أن هذا الاستفادة تبقى وهمية، وبذلك يتضح أن المرسل إليه في الرواية ليس

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص 140.

² - المصدر نفسه، ص 08، 09.

³ - المصدر نفسه، ص 106.

⁴ - المصدر نفسه، ص 197.

⁵ - المصدر نفسه، ص 67.

⁶ - المصدر نفسه، ص 171.

جهة واحدة ثابتة، بل يتغير حسب طبيعة الفعل السردي، بين إنقاذ الحياة عند "ثريا"، والسعي نحو الموت والشهادة عند "ربيع".

خامسا: المساعد

ويظهر هذا الفاعل في رواية "زمن الغبار" من خلال الصديق القديم لربيع "رشاد" وهو المساعد الرئيسي للشخصية (البطلة)، حيث يرافقها في مسار البحث ويمنحها دعم نفسي ومعلوماتي، مؤكدا لها الأمل: «أنا سأعيد إليك ربيع، بقي بي سأعيده إليك»¹، كما تمثل كاتبة رواية "زمن الغبار" فاطمة بن محمود مساعدا توثيقيا، لأنها تمنح معاناتها قيمة وشكلاً مكتوباً، وتدفعها للتعبير: «أنا كاتبة، أريد أن أكتب رواية عن كل ما يحدث...»² وتساهم الأم العجوز في تخفيف معاناتها داخل المصححة عبر رعاية بسيطة ومساندة إنسانية، بينما تمثل الوقفات الاحتجاجية شكلا من الدعم الجماعي الذي يخفف شعورها بالعزلة، أما الذاكرة، فهي عنصر مزدوج، إذ تؤلمها لكنها في الوقت نفسه تحفظ وجود ربيع داخلها وتدفعها للاستمرار.

بالإضافة إلى ذلك يتجلى فاعل المساعد في الرواية من خلال شخصية "ربيع" حيث يأتي القائد "أبو شداد" في مقدمة المساعدين لربيع، والذي يرسخ انخراطه في التنظيم، كما يساهم "أبو حمزة" في تدريبه عمليا وتحويله إلى مقاتل، وتشكل الجماعة المرافقة له عنصر دعم نفسي مهم، حيث تعزز شعوره بالانتماء: «رفع بصره إلى إخوته في الله...»³، كما لعب الإعلام الدعائيدور كبير في تعبئته وتحفيزه المستمر.

سادسا: المعارض

وفي هذه الرواية فأول معارض بارز يظهر في النص يتمثل في تنظيم دولة الخلافة والسلفيين، الذين خطفوا ابن (البطلة) "ربيع" ووجهوه نحو التطرف، وظهر عداؤهم المباشر في طرد البطلة "ثريا" من جامع الفتح: «اقتربت منها لحية شعناء... اخرجي فوراً لا يحق لك الدخول»¹.

كما تجلى في الدولة التونسية فاعل معارض قوي، سواء عبر الشرطة التي تعترف بعجزها، أو عبر رئيس الدولة وحراسه الذين منعوا "ثريا" بالقوة، ويظهر الإعلام الرسمي

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص 95.

² - المصدر نفسه، ص 108.

³ - المصدر نفسه، ص 141.

¹ - المصدر نفسه، ص 76.

كمعارض غير مباشر بتجاهله لمعاناتها أو تقليله من شأن الاحتجاجات، بينما يمثل المجتمع المنقسم مثل "مراد" و"عم يوسف" عائقا فكريا يبرر ما تعتبره ثريا جريمة، كما يظهر هذا التعارض في ذاكرة البطلة، فنقول: «ذاكرتي هي الهراوة الغليظة...»¹، لأنها تجرحها باستمرار لكنها في الوقت نفسه تحفظ ابنها حيا داخلها.

كما تواجه شخصية "ربيع" فاعلين معارضين، أبرزهم الجيش السوري الذي أصابه في المعركة: «رصاصه سكنت ذراعه»²، إضافة إلى أمه ثريا التي تمثل معارضة فكرية وأخلاقية لمحاولتها منعه من الانخراط في التطرف..، كما يمثل المجتمع في نظره معارضا معقدا، إذ يصنفه ضمن الجاهلية، مما يعمق انغلاقه الفكري، وتتحول ذاكرته إلى معارض داخلي قوي، إذ تذكره بحياته السابقة وأمه وحبيبته أمل، مما يضعف اندفاعه رغم محاولته قمعها بالشعارات، كما أن الجسد نفسه يتحول إلى معارض، إذ يعجز عن الاستمرار في القتال، فيموت بعيداً عن ساحة "الشهادة" التي كان يسعى إليها.

المبحث الثالث: آليات بناء الشخصية في رواية "زمن الغبار"

تعد آليات بناء الشخصية من الركائز الأساسية في العمل الروائي، حيث تمكن الكاتب من تقديم شخصياته بطريقة تجعلها حية ومؤثرة داخل النص، وتشمل مجموعة من التقنيات السردية، وفي رواية "زمن الغبار"، توظف الكاتبة "فاطمة بن محمود" هذه الآليات بشكل واعٍ يخدم البعد الدلالي للنص، ويبرز بشكل خاص الحوار الداخلي والوصف المكاني، اللذان يتحولان إلى وسيلتين أساسيتين للكشف عن التحولات النفسية والايديولوجية للشخصيات.

أولاً: الوصف الخارجي

ويقصد به التقنية السردية التي تهدف إلى تقديم الشخصيات والأمكنة من خلال إبراز خصائصها الحسية، أو تصوير الفضاءات المكانية وما تحتويه من تفاصيل، وفي "زمن الغبار"، يتخذ الوصف طابعا وظيفيا واضحا، حيث يستخدم أساسا للتمييز الأيديولوجي بين الشخصيات، ولتجسيد الحالات النفسية عبر الفضاء المكاني.

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص 195.

² - المصدر نفسه، ص 182.

1: التعميم.

تعتمد الكاتبة في رواية "زمن الغبار" إلى تقديم الشخصيات السلفية بوصف جماعي يقوم على التماثل والتكرار، حيث تختزل ملامحهم في عناصر محددة تعيد إنتاج الصورة نفسها، مما يؤدي إلى طمس الفروق الفردية بينهم.. ويتجلى ذلك بوضوح في مشهد طرد ثريا من المسجد، حيث تقول الرواية: «اقتربت منها لحية شعناء تتقدم وجها ممتقعا يصرخ بها...»¹ ثم يتكرر المشهد بصيغة مشابهة: «لحية أخرى شعناء تصرخ في وجهها...»².

إن هذا التكرار المقصود لعبارة "لحية شعناء" لا يؤدي وظيفة وصفية فحسب، بل يحمل دلالة عميقة تتمثل في تصوير هذه الشخصيات ككتلة واحدة متجانسة، فاقدة للتفرد، ومنصهرة في نموذج فكري وسلوكي موحد.

ويمتد هذا النمط الوصفي ليشمل الشخصيات الشابة، حيث تقول الرواية: «شاب في العشرين من عمره تقريبا بلحية خفيفة مرتديا لباسا أفغانيا أبيض»³، ويكشف هذا المقطع عن مرحلة انتقالية، فتشير "اللحية الخفيفة" إلى بداية النموذج السلفي، في حين يعكس "اللباس الأفغاني الأبيض" الانتماء إلى جماعة تتجاوز خصوصية المجتمع، ويظهر البعد التحولي بشكل أكثر وضوحا في شخصية "ربيع"، حيث تصف الرواية حالته قبل التحول بقولها: «كان يحب أن يطيل شعره ويجعله منفوشا»⁴، وهو ما يعكس النزعة الفردية، ثم تصفه لاحقا: «ارتدى القميص الأفغاني الأبيض... وأصبح يمشي مطأطي الرأس متجهما»⁵.

وهو تحول دال من الانفتاح إلى الانغلاق، ومن الحرية الفردية إلى الخضوع الجماعي، وهكذا يصبح المظهر الخارجي أداة سردية للكشف عن التحول الأيديولوجي.

كما يتعزز هذا البعد في وصف بعض الشخصيات النسوية ذات السلطة داخل هذا العالم، مثل "أم سلمان"، حيث تقول الرواية: «فبتت بملامح صارمة... وفم مستقيم كأنه لا يعرف الابتسامة»¹، يبين هذا الوصف طبيعة الشخصية القاسية، ويجعل من ملامح الوجه

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص76.

² - المصدر نفسه، ص76.

³ - المصدر نفسه، ص63.

⁴ - المصدر نفسه، ص96.

⁵ - المصدر نفسه، ص85، 86.

¹ - المصدر نفسه، ص128.

وسيلة للتعبير عن الصرامة وغياب العاطفة، مما يرسخ صورة نمطية لشخصيات تنتمي إلى فضاء مغلق قائم على الانضباط والتشدد.

في مقابل ذلك، تقدم الكاتبة الشخصيات غير المتشددة بصورة أكثر تفردا وتعقيدا، حيث لا تعتمد على الوصف الجسدي المباشر، بل تركز على البعد النفسي والداخلي، ففي وصف "ثرثرا"، تقول الرواية: «كانت ثريا كتلة من الحزن جاثمة على حافة الرصيف»¹، وهو وصف يتجاوز الجسد ليعبر عن حالة شعورية كثيفة، أما "أمل" فتظهر من خلال وعيها بذاتها، كما في قول الرواية: «كانت أمل تنتظر إلى المرأة...»²، حيث يتحول هذا الفعل البسيط إلى دلالة على التأمل الداخلي وبداية التحول النفسي، ومن ثم يتضح أن الكاتبة تقيم تمايزا واضحا بين شخصيات تختزل في علامات أيديولوجية ثابتة، وأخرى تبنى عبر عمقها النفسي وتفردها الإنساني.

2/- وظيفة التجسيد والواقعية:

يبرز الوصف المكاني في الرواية بوصفه أداة أساسية لتجسيد الحالات النفسية للشخصيات، حيث يتحول المكان من مجرد إطار للأحداث إلى عنصر دلالي فاعل يعكس التجربة الداخلية، ويتضح ذلك في تصوير غرفة المصحة، حيث تقول الرواية: «النافذة الوحيدة مغلقة وهذا يشعرها أنّ الغرفة صغيرة وضيقة مثل البلاد»³ يكشف هذا المقطع عن حالة من الانحصار والاختناق، إذ يتحول الفضاء المكاني إلى انعكاس مباشر للوضع النفسي، بل ويتجاوز ذلك ليحمل دلالة رمزية تربط بين ضيق المكان وضيق الواقع العام، ويعزز هذا المعنى قول الرواية: «حاولت الوقوف فلم تقو قدماها...»¹، حيث يتداخل العجز الجسدي مع الانهيار النفسي، مما يعمّق الإحساس بالضعف وفقدان السيطرة.

ويأخذ الوصف بعدا أكثر في تصوير القبو في الرقة، حيث تقول الرواية: «وجد نفسه داخل قبو رطب...» ثم تضيف: «كأن ذاكرته أصابها عطب أيضا...»²، يوضح هذا الفضاء حالة من الانحطاط والتدهور، إذ ترتبط الرطوبة والعتمة بتفسخ الواقع، بينما يعكس الربط بين

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص 208.

² - المصدر نفسه، ص 87.

³ - المصدر نفسه، ص 89.

¹ - المصدر نفسه، ص 207.

² - المصدر نفسه، ص 54.

المكان والعقل تدهور الحالة الذهنية للشخصية. وهنا يصبح المكان امتداداً للفكر، ويكشف عن زيف الشعارات التي انخرطت فيها الشخصية.

وفي مقابل ذلك تقدّم غرفة "ربيع في تونس" كفضاء يعكس الهوية الفردية قبل التحول، حيث تقول الرواية: «كانت غرفته مزدانة بصور مختلفة...»¹، وهو ما يدل على غنى التجربة الشخصية وتنوع الاهتمامات، غير أن هذا الفضاء يفقد حيويته لاحقاً، كما يظهر في قولها: «تلمّست سطح الخزانة... فتلوثت أناملها بالغبار»²، حيث يتحول "الغبار" إلى رمز لفقدان الحياة وانطفاء الإبداع، في انسجام مع دلالة عنوان الرواية، كما يتجلى الطابع القمعي في وصف بيت أم سلمان، حيث تقول الرواية: «غرفة صامتة بنافذة لا تفتح»³، يعكس هذا الوصف انغلاقاً تاماً وغيباً لأي أفق للحرية، مما يجعل المكان أقرب إلى سجن رمزي.

أما "دوار النعيم"، فيُقدم من خلال مشاهد العنف التي يشهدها، كما في قول الرواية: «الحجارة تنهال عليها...»، و«انفصل رأسه وتدرج...»⁴ وهنا لا يُعرّف المكان من خلال ملامحه الجمالية، بل من خلال الأفعال الوحشية التي تمارس فيه مما يحوله إلى فضاء للرعب، وتبرز المفارقة في التسمية، إذ يتناقض "النعيم" مع الواقع الدموي، وهو ما يعكس نقداً حاداً للخطاب الذي يوظف الدين لتبرير العنف.

ثانياً: الحوار

1/- الحوار الخارجي:

يتجلى الحوار الخارجي في الرواية بوصفه فضاء للصراع الفكري وكشف التناقضات، وتتحول المحادثات إلى مواجهات مباشرة، ففي الحوار الذي يجمع "ثريا" بابنها "ربيع" قبل رحيله، يتجسد حوار جدلي، حيث يقول "ربيع": «لا معنى للديمقراطية بل إنها كذبوقراطية...»¹، مستنداً إلى خطاب ديني قطعي يرفض الحوار، في المقابل ترد "ثريا": «الديمقراطية ليست كتاباً منزلاً...»²، محاولة الدفاع عنها، يكشف هذا الحوار عن مواجهة بين خطاب مغلق يوظف النصوص الدينية بوصفها حقائق نهائية، وخطاب عقلاني يسعى

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص 54.

² - المصدر نفسه، ص 96.

³ - المصدر نفسه، ص 120.

⁴ - المصدر نفسه، ص ص 98، 99.

¹ - المصدر نفسه، ص 149.

² - المصدر نفسه، ص 149.

إلى تأويلها في إطار معاصر، ومن ثم، يختزل هذا التبادل جوهر الصراع الأيديولوجي في الرواية بين الأصولية والتفكير النقدي.

كما يستخدم الحوار لإبراز آليات التلقين داخل الجماعات المتشددة، حيث يقول "أبو حمزة": «لا توجد محلات حلقة هنا...»¹، في سياق حديثه عن فرض نمط حياة صارم على الأطفال وتعويض التعليم المدني بالتدريب العسكري، يعكس هذا الخطاب طبيعة النظام القائم على إعادة تشكيل الوعي منذ الطفولة، وتحويل الأفراد إلى أدوات داخل منظومة مغلقة، ومن جهة أخرى، يكشف الحوار مع السلطة عن حالة العجز المؤسسي، كما يظهر في قول رئيس مركز الشرطة: «ليس لنا قدرة عليهم...»² يبرز هذا التصريح انهيار دور الدولة في حماية مواطنيها، ويؤكد شعور "ثرثرا" بالخذلان، إذ تتحول المؤسسة التي يُفترض أن توفر الأمان إلى كيان عاجز، مما يعمق الإحساس بالفوضى وفقدان العدالة.

2/- الحوار الداخلي:

هذا الحوار من أكثر التقنيات حضوراً في الرواية، حيث تعتمد عليه الرواية للكشف عن أعماق الشخصيات، خاصة في لحظات الانكسار والقلق، ففي تيار وعي "ثرثرا"، يتخذ الخطاب طابعاً دعائياً ثم يتحول إلى تساؤل وجودي، كما في قولها: «يا ربي... أعد إليّ ولدي...»³، ثم تتوالى الأسئلة: «هل يعقل أن يفتكوا مني ولدي باسمك؟»⁴ يعكس هذا الانتقال من الدعاء إلى التساؤل حالة من الانهيار النفسي وفقدان اليقين، حيث تتحول اللغة من رجاء إلى احتجاج ضمني، كما أن كثافة الأسئلة دون إجابات تعبّر عن حالة تيه وصدمة عميقة تعيشها الشخصية، ويتعزز هذا الإحساس في قولها: «تُشعر أن المصححة قد تحولت إلى سجن...»¹، حيث تتحول صورة المكان إلى استعارة شاملة تعكس وضعها النفسي، إذ لم يعد السجن مجرد فضاء مادي بل حالة وجودية تشمل الجسد والذاكرة والوطن.

أما "ربيع"، فيتجلى صراعه الداخلي بين انتمائه العاطفي لأسرته وولائه للجماعة، كما يظهر في قول الرواية: «شعر برغبة شديدة في البكاء... لذلك استغفر الله»²، يكشف هذا

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص 68.

² - المصدر نفسه، ص 93.

³ - المصدر نفسه، ص 72.

⁴ - المصدر نفسه، ص 73.

¹ - المصدر نفسه، ص 167.

² - المصدر نفسه، ص 111.

المقطع عن مفارقة عميقة، حيث ينظر إلى الحنين الإنساني بوصفه ضعفاً أو خطيئة، مما يدل على اختلال منظومته القيمية، ويبرز كذلك جانب من الصدمة المكبوتة في تساؤلاته الداخلية غير المباشرة، إضافة إلى حاجته للاعتراف والتقدير، كما في رغبته أن تراه أمل وهو يتقن القنص.

أما "أمل"، فيأخذ تيار وعيها طابعا أكثر جرأة وتشكيكا، كما في قولها: «هل هذا هو الإسلام؟»¹، ثم تتصاعد إلى تساؤل أكثر حدة: «أي إله يرضى بكل هذا الظلم؟»² توضح هذه التساؤلات صدمة وجودية تدفع الشخصية إلى إعادة النظر في المسلمات، وهو ما يمنح النص بعدا فلسفيا عميقا، كما يظهر وعيها النقدي في خطابها الساخر تجاه "ربيع": «تبا لك يا ربيع...»³ حيث تعبر عن إدراكها لدوره في مأساتها.

ثالثا: الفعل السردى

يعد الفعل السردى من أهم مكونات البناء الروائى، ويتمثل في كل ما تقوم به الشخصية من أفعال أو ما تتعرض له من أحداث تؤثر في مسار الحكاية وتكشف عن طبيعتها، ولا يقتصر الفعل على الأحداث الكبرى، بل يشمل أيضا الأفعال الصغيرة التي قد تبدو بسيطة لكنها تحمل دلالات عميقة، مثل الصمت أو البكاء أو حتى نظرة عابرة، وفي رواية "زمن الغبار"، تتوزع الأفعال بين مسار العنف والتطرف الذي تمثله شخصية "ربيع" والجماعة، ومسار البحث والمقاومة الذي تجسده "ثرثيا" و"أمل".

1/- الفعل السردى للشخصية المحورية (البطلة):

تتجلى أفعال البطلة "ثرثيا" بوصفها سلسلة من المحاولات المستمرة للبحث والمواجهة، حيث تتحرك الشخصية من موقع المتلقي للألم إلى فاعل يسعى لتغييره، وإن كان ذلك ينتهي في كثير من الأحيان بالفشل أو الانكسار، فذهابها إلى جامع الفتح يمثل فعل مخاطرة، غير أنه ينتهي بطردها وإهانتها¹، ويكشف عن عنف الفضاء الذي اقتحمته، كما أن توجهها إلى مركز الشرطة يعكس ثقتها في مؤسسات الدولة، لكنها تصطدم بواقع العجز، خاصة حين

¹ - فاطمة بن محمود، رواية "زمن الغبار"، ص 142.

² - المصدر نفسه، ص 186.

³ - المصدر نفسه، ص 200.

¹ - المصدر نفسه، ص 19.

يُقال لها: «ليس لنا قدرة عليهم...»¹، وهو ما يحول الفعل من محاولة للحماية إلى لحظة خذلان عميق.

وتستمر أفعال البطلة في اتخاذ طابع مقاوم، كما يظهر في مشاركتها في الاحتجاجات، حيث تخرج من عزلتها الفردية إلى فعل جماعي تضامني، محاولة تحويل الألم الخاص إلى قضية عامة، كما يتجلى البعد الرمزي في محاولتها الوصول إلى رئيس الدولة، وهو فعل يعكس اليأس بقدر ما يعكس الإصرار، وينتهي بإصابتها في دلالة على أن السعي نحو العدالة قد يقود إلى مزيد من المعاناة،² ويبلغ هذا المسار ذروته في لحظة الانهيار داخل سيارة الأجرة، حيث تتجسد الصدمة في أفعال جسدية لا إرادية، تعكس فقدان السيطرة أمام هول الواقع، ومع ذلك لا تنتهي الشخصية بالانكسار التام، إذ تعود إلى البيت وتلجأ إلى القراءة³، في فعل يجمع بين العزلة والمقاومة الرمزية، مما يعكس بقاء جذوة الأمل رغم كل شيء، وهكذا تتأرجح ثريا بين الفاعلية والمفعولية، وهو ما يمنحها بعدا تراجميا عميقا.

2/- الفعل السردى للشخصيات المركزية والثانوية:

تتخذ أفعال "ربيع" مسارا اتصاعديا نحو العنف والتطرف، حيث يبدأ بأفعال رمزية كإزالة الصور من غرفته، وهو ما يشير إلى قطع صلته بماضيه وهويته السابقة، ثم يتطور الأمر إلى مبايعته للتنظيم، وهو فعل يعكس الولاء المطلق والانخراط الكامل في مشروع أيديولوجي مغلق، ولا يلبث هذا الانخراط أن يتحول إلى ممارسة فعلية للعنف، كما يظهر في مشاركته في قتل أسرة، وفي حضوره لمشاهد الإعدام¹، فيصبح العنف أمرا عاديا بل ومقبولا ضمن منظومته الجديدة.

ويمثل سفره عبر الحدود لحظة فاصلة، حيث يقطع علاقته بالمجتمع والأسرة، ويدخل في عالم جديد تحكمه قوانين مختلفة، غير أن هذا المسار لا يستمر في تصاعده، بل ينقلب إلى تدهور، حيث يتعرض للإصابة في المعركة²، وهو حدث لا يختاره، لكنه يكشف هشاشة المشروع الذي انخرط فيه، وينتهي هذا المسار بحالة من الغيبوبة أو الموت، في مفارقة

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص 93.

² - المصدر نفسه، ص 9، ص 13، ص 103، ص 133.

³ - المصدر نفسه، ص 210، ص 213.

¹ - المصدر نفسه، ص 81.

² - المصدر نفسه، ص 182.

دلالية واضحة، إذ تتحول فكرة "الشهادة" التي سعى إليها إلى حالة من الإهمال والتلاشي، مما يفضح زيف الخطاب الذي آمن به.

أما شخصية "أمل"، فتنتم أفعالها بمسار تحولي يبدأ بالاتباع وينتهي بالمقاومة، إذ أن انتقالها إلى سوريا مع ربيع يمثل فعلا ناتجا عن حب أعمى، حيث تضحي باستقرارها من أجل الارتباط به، غير أن هذا القرار يضعها في مواجهة واقع قاس، يتجسد في تعرضها للعنف الجسدي فيما يسمى "جهاد النكاح"¹، حيث تتحول إلى مفعول بها داخل منظومة قهرية، ومع ذلك، لا تفقد الشخصية إنسانيتها بالكامل.

ويظهر ذلك من خلال مقاومتها الجزئية، سواء بالصراخ أو الرفض الداخلي، مما يدل على بقاء وعيها رغم القهر، ويتجلى التحول الحقيقي في أفعالها حين تبدأ بالتخطيط للهروب مع "نادية"، وهو فعل يعكس الوعي والتمرد في آن واحد، وتبلغ هذه المقاومة في لحظة الهروب عبر الشرفة²، حيث تواجه الخطر الجسدي والنفسي بشجاعة، وتنجح في استعادة حريتها، وهكذا تنتقل "أمل" من موقع الضحية إلى موقع الفاعل، في مسار يعكس إمكانية الخلاص رغم قسوة التجربة.

رابعا: علاقات الشخصية

تعتبر علاقات الشخصية من العناصر الهامة في البناء السردى، وتمثل شبكة الروابط التي تنشأ بين الشخصيات داخل العالم الروائي، سواء كانت علاقات قرابة أو حب أو صداقة أو سلطة أو صراع، وتؤدي دورا محوريا في تحريك الأحداث وكشف طبيعة المجتمع والقوى المتحركة فيه، وفي رواية "زمن الغبار"، تتخذ العلاقات بعدا دلاليا عميقا، وتظهر بنية مجتمع مأزوم تسوده التوترات الأيديولوجية والاختلالات القيمية، كما تتحول هذه العلاقات إلى فضاء للصراع بين الحب والعنف، وبين الولاء والانتماء الأيديولوجي.

تتجسد العلاقة بين "ثرثيا" وابنها "ربيع" بوصفها واحدة من أكثر العلاقات مأساوية في الرواية، حيث تقوم في أساسها على حب أمومي عميق، لكنها تتحول تدريجيا إلى صراع أيديولوجي وأخلاقي، ويتضح حب ثرثيا الغير مشروط في قولها: «قلبي ينبئني بسوء هذه

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص 87.

² - المصدر نفسه، ص 199.

المرّة... أحتاجك كثيرا...»¹، حيث تعبر عن تعلقها بابنها وخوفها عليه، وتربط مستقبلها بوجوده، غير أن هذا الحب يصطدم بخطاب "ربيع" الذي يردد: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق...»²، وهو قول يحوله إلى مبرر لقطع الروابط العاطفية، ويوظف النص الديني ليبرر عصيانه لأمه، ومن ثم تتخذ العلاقة طابعا تراجيديا، حيث تعجز الأم عن إنقاذ ابنها، في حين يقمع الابن مشاعره الإنسانية تحت ضغط الولاء للجماعة، وهو ما يظهر في صراعه الداخلي.

أما العلاقة بين "ربيع" وحبيبته "أمل"، فتتسم بمسار تحولي يبدأ بالرومانسية وينتهي بالاستغلال والانهيار، ففي بداياتها تتجلى مشاعر الحب في أحلام بسيطة، كما يظهر في قوله: «كان يحب أن يسمي ابنته منها مايا...»³، وهو ما يعكس نزعة حاملة ورغبة في بناء مستقبل مشترك، غير أن هذه الصورة سرعان ما تتلاشى، خاصة بعد انتقالهما إلى سوريا، حيث تبدأ ملامح الإهمال واللامبالاة، كما يظهر في تساؤل أمل: «أين أنت يا ربيع؟»⁴ ويتجسد الانهيار الكامل لهذه العلاقة في مشهد المواجهة داخل المستشفى، حين تخبره "أمل" بما تعرضت له، فيرد ببرود: «لا يفعل رجال الدولة إلا الصواب...»⁵، وهو رد يكشف عن قطيعة عاطفية وأخلاقية عميقة، يتحول فيها الحبيب إلى مبرر للعنف بدل أن يكون سنداً، مما يؤدي إلى نهاية رمزية للعلاقة.

وفي مقابل هذه العلاقات المتصدعة، تبرز علاقة الصداقة بين "ثرثيا" و"رشاد" كنموذج إنساني يقوم على التضامن والوفاء، فرشاد رغم عدم وجود رابطة قرابة مباشرة، يقف إلى جانب ثرثيا ويدعمها، كما يظهر في قوله: «أنا سأعيد إليك ربيع... ثقي بي»¹، يبين هذا الموقف التزاماً أخلاقياً صادقا، حيث لا تحكم العلاقة مصلحة أو منفعة، بل تقوم على التعاطف والتعاون الإنساني، وفي سياق رواية تهيمن عليها الخيبات، تكتسب هذه الصداقة قيمة رمزية بوصفها بديلاً أخلاقياً للعلاقات المشوهة الأخرى.

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار ، ص148.

² - المصدر نفسه، ص163، ص166 ، ص175.

³ - المصدر نفسه ، ص ص 86، 85.

⁴ - المصدر نفسه، ص86، ص145.

⁵ - المصدر نفسه، ص183.

¹ - المصدر نفسه، ص95.

وتتجلى علاقة "ربيع" بأبي شداد في إطار التلمذة، لكنها في جوهرها علاقة استغلال غير متكافئة، حيث ينظر ربيع إلى قائده بوصفه نموذجا أعلى، كما يظهر في قول الرواية: «إنه مثله الأعلى ولا يريد أن يخيب آماله»¹، غير أن هذه العلاقة تكشف عن خلل عميق، إذ لا يبادل القائد هذا الولاء، خاصة في لحظة ضعفه بعد الإصابة، حيث يتساءل: «لم يأت الطبيب بعد...»²، في إشارة إلى الإهمال الذي يعانيه، هنا تتكشف حقيقة العلاقة بوصفها شكلا من أشكال التبعية، ما يعكس طبيعة النظام القائم على الاستغلال البشري.

أما علاقات السلطة والقمع، فتظهر بوضوح في نموذج "أم سلمان" وعلاقتها بالفتيات، حيث تجمع بين خطاب أمومي ظاهري وسلوك قمعي صارم، كما يتضح في قولها: «السمع والطاعة واجبان... ومن ترفض تعذب بالضرب»³، يعكس هذا التناقض استخدام اللغة العاطفية لتغطية ممارسات العنف، مما يحول العلاقة إلى أداة للهيمنة النفسية والجسدية، وفي السياق نفسه، تتجلى علاقة الدولة بالمواطن من خلال تجربة "ثرثيا"، حيث يفترض أن توفر الحماية، لكنها تعلن عجزها صراحة: «لا نملك أن نأتي بولدك...»⁴. ويكشف هذا الموقف عن انهيار الدور المؤسسي، حيث يترك الفرد وحيدا في مواجهة مأساته، مما يعمق الإحساس بالاغتراب وفقدان الثقة.

المبحث الرابع: ملامح الشخصيات في الرواية التونسية المعاصرة

ننظر هنا إلى ملامح الشخصيات في الرواية التونسية المعاصرة من خلال:

أولا: الشخصية الأنثوية بين الخضوع والتمرد

في رواية "زمن الغبار" تتجسد شخصية البطلة "ثرثيا" بوصفها نموذجا للأم التي تتطلق من موقع تقليدي قائم على الرعاية والخوف على الابن، كما يظهر في توسلها: «أرجوك يا ربيع، لا تذهب... أحتاجك كثيرا...»¹ يعكس هذا الخطاب تعلقا عاطفيا عميقا، وارتباطا بدور الأم الحامية، غير أن هذه الشخصية لا تظل حبيسة هذا الدور، بل تتحول تدريجيا إلى فاعل نقدي وسياسي، حيث تخرج إلى الفضاء العام، وتواجه الخطاب الديني المتشدد،

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار ، ص126.

² - المصدر نفسه ، ص96.

³ - المصدر نفسه، ص144.

⁴ - المصدر نفسه، ص93.

¹ - المصدر نفسه، ص148.

وتشارك في الاحتجاجات مرددة: «يا تجار الدين، رجعولنا أولادنا»¹، ويكشف هذا التحول عن انتقالها من الخضوع إلى التمرد، وفعل مقاومة مستمر يقوم على الصمود والوعي، وتستمر في البحث رغم الانكسارات، مما يجعلها نموذجا للأُمومة بوصفها قوة أخلاقية وسياسية.

أما شخصية "أمل"، فتقدم مسارا تحوليا أكثر حدة، يبدأ بالخضوع العاطفي وينتهي بالتمرد الفعلي. إذ تتطلق الشخصية من حالة اندفاع عاطفي، حيث تتبع ربيع بدافع الحب، كما يتجلى في استحضارها لحظات السعادة: «كانت أمل تفكر في ربيع وهي سعيدة بمرافقته... يغرقان في الضحك»² غير أن هذه البراءة تصطدم بواقع صادم، حين تكتشف أنها وقعت في منظومة تستغل جسدها باسم الدين، فتطرح تساؤلات وجودية حادة مثل: «أي دين هذا الذي يسمح بكل هذه الجرائم؟ ... أي إله يرضى بكل هذا الظلم؟»³، تعكس هذه الأسئلة انهيار اليقين وبداية الوعي النقدي، وتتحول إلى فاعل مقاوم، تخطط للهروب وتتفذه بشجاعة، وهكذا تنتقل أمل من موقع الضحية إلى موقع الناجية، في مسار يعكس إمكانية استعادة الذات رغم العنف.

وتحضر "نادية" بوصفها نموذجا للضحية الصامدة، حيث تعيش وضعا قسريا يتمثل في السبي والاستعباد، لكنها تحافظ على هويتها الدينية والإنسانية، ويتجلى تمردا في شكل صامت، كما يظهر في ممارستها لطقوسها الخاصة: «وقفت قرب النافذة... وجهها في اتجاه الشمس...»⁴ يظهر هذا السلوك تمسكا بالهوية رغم محاولات الطمس، كما أن تعاونها مع أمل في التخطيط للهروب يعبر عن تضامن أنثوي يتجاوز الحدود الدينية، ومن ثم، تتحول نادية من مجرد ضحية إلى رمز للصمود والكرامة.

في المقابل، تمثل "أم سلمان" نموذجا مضادا للشخصية النسوية، حيث تجمع بين الانتماء إلى جنس النساء وممارسة القمع عليهن. فهي تتبنى خطابا دينيا يبرر العنف، كما يظهر في قولها: «هذه إحدى الطرق ليعود أبطالنا...»¹، وتقرض الطاعة بالقوة، مما يجعلها أداة ضمن منظومة سلطوية أكبر، وتظل ثابتة في موقعها القمعي، وهو ما يعكس

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص122.

² - المصدر نفسه، ص163.

³ - المصدر نفسه، ص186.

⁴ - المصدر نفسه، ص187.

¹ - المصدر نفسه، ص87.

نمطا من الشخصيات الأنثوية التي فقدت بعدها الإنساني وتحولت إلى وسيلة لإعادة إنتاج العنف.

تكشف هذه النماذج عن تنوع عميق في تمثيل الشخصية النسوية داخل الرواية، حيث تتوزع بين الخضوع والتمرد، وبين الضحية والفاعل، حيث يعكس هذا التنوع وعيا سرديا متقدما في الرواية التونسية المعاصرة، حيث لم تعد المرأة تُقدّم بوصفها نموذجا واحدا، بل بوصفها فضاء للصراع والتعدد، مما يثري البناء الروائي ويمنحه عمقا إنسانيا وفكريا واضحا.

ثانيا: أزمة البطل

عرفت الرواية التونسية قبل الثورة نموذجا للبطل يقوم غالبا على شخصية المثقف المهمش أو العامل الذي يعيش تحت ضغط الاستبداد، لكنه يحتفظ دائما بقدر من الوعي النقدي وبصيص الأمل في التغيير، غير أن هذا النموذج عرف تحولا جذريا خاصة ما بعد الثورة التونسية¹، لم يعد البطل قادرا على الفعل أو التغيير، بل أصبح محكوما بالانكسار أو العجز أو النجاة الفردية المحدودة، ففي الرواية التونسية المعاصرة كرواية "زمن الغبار" لم تعد البطولة مرتبطة بالفعل التاريخي أو الجماعي، بل أصبحت مرتبطة بالبقاء والصمود في مواجهة الانهيار، وهذا ما يعرف بـ"أزمة البطل"، يتراجع الإيمان بقدرة الفرد على تغيير الواقع، لصالح وعي مأساوي يعترف بحدود الفعل الإنساني.

وتأتي شخصية "ربيع" لتجسد نموذج "البطل"، حيث لا يمثل البطل القادر على البناء أو الإنقاذ، بل يتحول إلى فاعل في العنف ثم إلى ضحية مهمشة، وتبدأ أزمته من غياب القدرة، حيث يعيش حالة فراغ قيمي تدفعه للبحث عن البديل، كما يظهر في قوله: «كلما تذكر والده تتملكه مشاعر غريبة...»¹ هذا الغياب يفتح المجال أمام انجذابه إلى خطاب أيديولوجي بديل يعوض نقص الانتماء، وتتعمق أزمة الهوية لديه مع محو ملامح ماضيه، إذ يتخلى عن رموز حياته السابقة، كما في قوله: «أزاح كل الصور المعلقة في غرفته»²، يمثل هذا الفعل قطع رمزي مع الذات القديمة، وبداية تشكل ذات جديدة قائمة على القطيعة والذوبان داخل الجماعة، غير أن هذا التحول يقوده إلى الانزلاق نحو العنف، حيث يشارك

¹ - محمد الهادي عرجون، المرجع السابق: عبر الموقع (<https://middle-east-online.com/node/793870>) تم الاطلاع يوم 04-29-2026 على الساعة (15.30)

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص 97.

² - المصدر نفسه، ص 96.

في عمليات قتل جماعي، في مشهد يوصف بوحشية واضحة: «قطعوا رأس الأب وعلقوه على الشجرة...»¹ وهنا يتحول البطل إلى جلاّد يمارس العنف باسم العقيدة.

غير أن هذا المسار لا ينتهي بالبطولة الموعودة، بل ينقلب إلى انهيار كامل، حيث يصاب ربيع ويترك في مستشفى ميداني مهمل، ويدخل في غيبوبة تنتهي بموت بلا معنى، وهكذا تفكك الرواية صورة "البطل الجهادي" الذي يفترض أن يموت شهيداً، لتكشف في المقابل عن موت بائس ومهمل، يخلو من أي معنى بطولي.

أما شخصية "ثريا" فتجسد نموذج "البطلة المأساوية" التي تحاول الفعل لكنها تصطدم دائماً بجدار العجز، فهي تتحرك بدافع الأمومة والبحث عن ابنها، لكنها تفشل في كل محاولاتها، إذ تطرد من المسجد، ويعجز مركز الشرطة عن مساعدتها²، كما أن تدخلها في الفضاء العام، سواء عبر الاحتجاج أو المواجهة المباشرة، لا يؤدي إلى أي نتيجة فعالة، بل ينتهي بالإصابة والانهيار، ورغم هذا الفشل المتكرر، لا تنتهي "ثريا" إلى الاستسلام التام، بل تواصل فعل المقاومة الرمزية، حيث تعود إلى بيتها وتقرأ الرواية³، وتواصل مناداة ابنها كما لو أنه حاضر، ويكشف هذا السلوك عن شكل جديد من البطولة يقوم على الصمود النفسي ورفض النسيان، لا على تحقيق الانتصار، ومن ثم، تمثل "ثريا" نموذج الإنسان الذي راهن على التغيير بعد الثورة، لكنه وجد نفسه أمام واقع أكثر تعقيداً وانسداداً.

أما "أمل" حبيبة ربيع، فتمثل نموذج "البطلة الناجية"، حيث تمر بمسار تحولي يبدأ بالحب والسذاجة، ثم ينتهي بالوعي والمقاومة. فقد بدأت علاقتها بربيع بوصفها تجربة عاطفية بريئة، قبل أن تصطدم بواقع العنف والاستغلال، كما في تساؤلاتها: «أي دين هذا الذي يسمح بكل هذه الجرائم؟» ومع تزايد الصدمة تتحول إلى فاعل مقاوم، حيث تخطط للهروب وتنجح فيه، معلنة قطيعتها مع حبيبها بقولها: «تباً لك يا ربيع...»¹ ويكتسب هذا الفعل دلالاته من كونه لا يستهدف تغيير العالم، بل إنقاذ الذات، وهو ما يعكس تحول مفهوم البطولة إلى مستوى فردي يقوم على النجاة والوعي.

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص 41.

² - المصدر نفسه، ص 92.

³ - المصدر نفسه، ص 210.

¹ - المصدر نفسه، ص 200.

وتتوزع باقي الشخصيات بين أنماط مختلفة من أزمة البطل، حيث يظهر "رشاد" بوصفه نموذجاً قريباً من البطل الإيجابي، لكنه يظل عاجزاً عن الفعل، إذ لا يستطيع تغيير مصير "ربيع" أو إنقاذ "ثريا"، مما يجعله بطلاً بلا تأثير فعلي، أما "مراد" فيمثل نموذج "البطل المنكسر" الذي تخلى عن مبادئه السابقة، وأصبح يعيش تناقضاً بين ماضيه الثوري وحاضره البراغماتي، مما يعكس أزمة الهوية السياسية والأخلاقية، وفي المقابل يمثل والد ربيع "البطل الغائب"، إذ انسحب من مسؤولياته وترك ابنه يواجه مصيره وحده، بينما تجسد نادية نموذج "البطلة الصامدة"، التي رغم كونها ضحية مطلقة، فإنها تحافظ على هويتها وتخطط للنجاة¹، مما يجعل بطولتها قائمة على الصمود لا على التغيير.

وتكشف رواية "زمن الغبار" عن تحول جذري في مفهوم البطولة داخل الرواية التونسية المعاصرة، حيث لم يعد البطل يقاس بقدرته على تغيير الواقع، بل بقدرته على الصمود أمام انهياره أو إدراك حدوده، فالبطل في هذا السياق إما شخصية مأزومة تقشّل في الفعل، أو ضحية تعي انهيار العالم، أو ناجٍ يحاول إعادة بناء ذاته، وهكذا تنتقل البطولة من منطق الانتصار إلى منطق الوعي بالهزيمة، ومن الفعل الجماعي إلى النجاة الفردية، وهو ما يعكس إحباط ما بعد الثورة، لكنه في الوقت نفسه يفتح أفقاً إنسانياً جديداً يقوم على الاعتراف بالضعف والتضامن وإمكانية البقاء رغم الخراب.

ثالثاً: الشخصيات والتحوّلات الاجتماعية الكبرى

1/- ظهور الإسلام السياسي وتأثيره على المجتمع:

تبرز الرواية صعود الإسلام السياسي من خلال شخصيات تمثل شرائح اجتماعية مختلفة انخرطت في هذا المشروع الأيديولوجي، فربيع يجسد الشاب الذي انتقل من حياة عادية إلى التطرف والعنف ثم الموت، بينما يمثل أبو شداد (رامي) المثقف الذي تخلى عن مساره العلمي وانخرط في القيادة الجهادية¹، ويعكس أبو حمزة أو رضا تحول الطبقة الشعبية إلى سلطة قمعية داخل التنظيم، في حين تمثل أم سلمان الوجه النسوي الذي يبرر العنف

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص 201.

¹ - المصدر نفسه، ص 174.

ضد النساء باسم الدين¹، أما مراد فيجسد النخبة المتناقضة التي تدعم الإسلام السياسي من الخارج مع الحفاظ على امتيازاتها في الغرب.

وتعرض الرواية هذا التحول عبر صور ملموسة للعنف مثل تجنيد الأطفال، سبي النساء، الإعدامات، وإلغاء التعليم، حيث تتحول الأيديولوجيا إلى ممارسة يومية دامية بدل خطاب نظري.

2/- تفكك الأسرة:

تقدم الرواية الأسرة بوصفها بنية متصدعة تعكس انهيار العلاقات الاجتماعية في تونس، ففي أسرة ثريا يغيب الأب بسبب الهجرة، بينما تتحمل الأم المسؤولية وحدها، وينتهي الابن إلى التطرف وقطع العلاقة مع أمه، مما يعكس انهيار النموذج الأسري التقليدي، أما أسرة "أمل" فتظهر فيها ملامح الانهيار عبر أب انتهازي يستغل مأساة ابنته، وأم منهارة نفسياً، وطفلة صامته مهملة²، وفي أسرة "ربيع"، رغم الثراء الظاهري، يغيب الأب ويتجه الابن إلى القطيعة مع ماضيه³، مما يدل على أن التفكك يشمل مختلف الطبقات الاجتماعية، وتشير الرواية إلى أن التطرف لا ينشأ في فراغ، بل في بيئات أسرية مضطربة تغيب فيها الرعاية العاطفية لصالح بدائل أيديولوجية.

3/- هجرة الشباب والاغتراب:

تعالج الرواية ظاهرة هجرة الشباب التونسي نحو بؤر الصراع أو الخارج باعتبارها نتيجة لأزمة الهوية والانتماء، فربيع وأمل يهاجران إلى سوريا، لكن هجرتهم تعكس اغتراباً سابقاً عن الأسرة والمجتمع، كما يمثل والد ربيع نوعاً آخر من الهجرة عبر هروبه إلى الخليج من المسؤولية الأسرية، بينما يجسد مراد اغتراباً مزدوجاً بين انتمائه التونسي ومصالحه في فرنسا، وتبين الرواية أن هذا الاغتراب قد ينتج شعوراً زائفاً بالأمان داخل التنظيمات، كما يظهر في إحساس ربيع بـ"اطمئنان غريب"¹، رغم أنه في جوهره انفصال عن الذات والمجتمع.

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص178.

² - المصدر نفسه، ص59.

³ - المصدر نفسه، ص136.

¹ - المصدر نفسه، ص126.

4/- عجز الدولة وتواطؤها:

تعرض الرواية صورة نقدية للدولة التي تبدو عاجزة عن حماية مواطنيها، ويتجلى ذلك في قول الشرطة لثريا إن الدولة «لا تملك أن تأتي بولدك»¹، مما يعكس عجز السلطة، كما يظهر الخطاب الرسمي في إنكار تفسير الشباب واعتبار ما يحدث "إشاعة"²، وهو ما يؤدي إلى انهيار البطة نفسها، ويبرز الإعلام كأداة تهميش للواقع، بينما تبدو السلطة منفصلة عن معاناة المواطنين، ومن خلال ذلك تنتقد الرواية دولة فقدت قدرتها على الفعل وأصبحت جزءا من الأزمة.

5/- انقسام المجتمع واستعارة "الغبار" :

يعكس مفهوم "الغبار" حالة التشوش والضبابية التي تعيشها تونس بعد الثورة، حيث تختلط الحقائق بالأكاذيب وتتداخل الأيديولوجيات، ويتجلى الانقسام بين (ثريا والسلفيين)، و(بين الضحايا والسلطة)، و(بين الوعي النقدي والإعلام المضلل)، ولا تقدم الرواية حلا نهائيا، بل تترك الواقع مفتوحا على استمرار الأزمة، حيث تبقى ثريا في بحثها دون نتيجة، وتبقى أمل في النجاة غير مكتملة.

وتكشف هذه الرواية أن كل شخصية تمثل ملفا اجتماعيا وسياسيا يعكس التحولات الكبرى في تونس ما بعد الثورة، كتفكك الأسرة، فشل الدولة، هجرة الشباب، وانقسام المجتمع، والقضايا الزائفة التي اختلقها المتكلمون باسم الاسلام¹، فتؤدي الرواية وظيفة توثيقية نقدية، إذ تسجل مرحلة مضطربة دون ادعاء تقديم حلول، مؤكدة أن الكتابة هي وسيلة لحفظ الذاكرة ومنع النسيان.

¹ - فاطمة بن محمود، رواية زمن الغبار، ص93.

² - المصدر نفسه، ص206.

¹ - المصدر نفسه، ص215.

خلاصة الفصل:

من خلال تحليل بنية الشخصية في رواية "زمن الغبار" للكاتبة فاطمة بن محمود، يتضح أن النص يقدم منظومة سردية معقدة تقوم على تداخل الأبعاد النفسية والاجتماعية والسياسية، فثريا تمثل مركز الوعي النقدي والأمومة المكلومة، وريع يجسد مسار التحول المأساوي نحو التطرف والانهيال، وأمل تمثل إمكانية الخلاص الفردي عبر النجاة والتضامن، بينما تؤدي الشخصيات الأخرى وظائف رمزية تكشف عن أنماط السلطة والقمع والنفاق.

وتؤكد الرواية أن الشخصية لم تعد تُبنى بوصفها فردا معزولا، بل بوصفها نتاجا لسياق اجتماعي مضطرب، تتداخل فيه الأيديولوجيا بالعنف، والدين بالسياسة، والواقع بالأزمة، كما يظهر أن أهم آليات بناء الشخصية هي الوصف المكاني، والحوار الداخلي، والفعل السردى، وهي أدوات تكشف العمق النفسي والاجتماعي للشخصيات.

وفي النهاية، تقدم الرواية شهادة أدبية على مرحلة "زمن الغبار"، مرحلة تتسم بالضبابية والاضطراب، لكنها في الوقت نفسه تدعو إلى التذكر والمقاومة، باعتبار أن الكتابة نفسها فعل مواجهة للنسيان والتزييف.



- خاتمة:

تعتبر الرواية جنسا أدبيا مرنا ومتجددا، وهي من أكثر الأجناس قدرة على تمثيل تعقيدات الواقع الإنساني والاجتماعي، ومقاربة التحولات الكبرى التي تشهدها المجتمعات في المنعطفات التاريخية الحاسمة، فهي لا تكتفي بعكس الواقع بصورة مباشرة، بل تعيد تشكيله فنياً من خلال توظيف الخيال والذاكرة، بما يتيح الغوص إلى أعماق التجربة الإنسانية والكشف عن أبعادها المختلفة، ومن ثم تصبح الرواية فضاءً لطرح قضايا تتصل بالهوية والسلطة والدين والعنف، خاصة في سياقات ما بعد الثورات، حيث تتداخل الأزمات السياسية مع التحولات الاجتماعية والقيمية.

وتحتل الشخصية الروائية موقعا مهما ورئيسيا داخل البناء السردي، فهي ليست مجرد أداة وظيفية لتحريك الأحداث، إنما هي بنية دلالية تعكس الوعي الفردي والجماعي معا، وتجسد تحولات المجتمع وتناقضاته، وقد بينت الدراسات النقدية الحديثة أن الشخصية في الرواية العربية المعاصرة، خصوصا في سياق ما بعد الثورات، لم تعد بطلا قادرا على الفعل المطلق، وإنما أضحت تعبيرا عن أزمة الإنسان وحدود فاعليته أمام أنظمة القهر وسلطات الأيديولوجيا.

وفي السياق التونسي، مثّلت مرحلة ما بعد الثورة التونسية (14 يناير 2011) منعطفًا بارزا في مسار الرواية المعاصرة، حيث اتجهت الرواية إلى مساءلة الواقع السياسي والاجتماعي بجرأة أكبر، مع انفتاحها على قضايا العنف، والتطرف، وتفكك البنى الاجتماعية، وفي هذا الإطار تتدرج رواية «زمن الغبار» للكاتبة فاطمة بن محمود (2023) ضمن هذا السياق، حيث قدمت نموذجا سرديا مكثفا يعكس التحولات العميقة في المجتمع التونسي من خلال بناء شخصيات متعددة المسارات، تكشف في تفاعلها عن أبعاد التحول الاجتماعي وتداعياته.

أولاً: نتائج الدراسة

- خلصت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أبرزها:

- 1- أثبتت الرواية أن بنية الشخصية لم تعد مجرد عنصر فني داخل النص، بل تحولت إلى أداة نقدية فعالة تعكس التحولات الاجتماعية الكبرى، وتفكك الخطابات الأيديولوجية، وتكشف آليات التطرف والعنف باسم الدين.
- 2- كشفت الدراسة عن أن التحول الاجتماعي في تونس ما بعد الثورة قد تمثّل في الرواية من خلال أبعاد متداخلة كتفكك الأسرة؛ وهجرة الشباب؛ وعجز الدولة؛ وانقسام المجتمع.
- 3- تجلّت مأساة الشخصية الروائية في "زمن الغبار" من خلال أزمة البطل، حيث لم يعد البطل قادراً على تغيير واقعه، بل تحول إما إلى ضحية مأساوية، أو أم مكلومة، أو ناجية تبحث عن خلاص.
- 4- تحولت الأمكنة في الرواية إلى استعارات سردية تعكس الحالات النفسية وتعبر عن الانغلاق والضيق والغبار الرمزي الذي يغطي الذاكرة والوطن، وتوزعت الأفعال بين مسارات البحث والمقاومة، ومسارات العنف والتحلل، ومسارات الوعي والخلاص الفردي مما عزز الرؤية المأساوية للرواية.

ثانياً: توصيات الدراسة

- وعلى مستوى التوصيات، فتوصي هذه الدراسة بما يلي:

- ضرورة مواصلة دراسة الرواية التونسية المعاصرة، خاصة المرتبطة بمرحلة ما بعد الثورة التونسية.
- توظيف المناهج التكاملية (البنوية، السوسيونقدية، التفكيكية، وتحليل الخطاب) في دراسة الرواية العربية المعاصرة، لفهم تعقيد النصوص الروائية الحديثة.
- تشجيع دراسات المقارنة بين روايات المشرق والمغرب حول "الربيع العربي"، للوقوف على الخصوصيات الوطنية والقومية في معالجة التحولات.



ثالثاً: الآفاق المستقبلية

-وفي ما يتعلق بالآفاق المستقبلية، يمكن اقتراح ما يلي:

- ✓ دراسة الرواية التونسية المعاصرة في بعدها المقارن مع الرواية المغاربية والعربية حول ظاهرة العنف السياسي .
 - ✓ تحليل خطاب العنف في الرواية من منظور لساني تفكيكي بالتركيز على آليات توظيف النصوص الدينية داخل السرد، وكيفية تفكيكها أو إعادة إنتاجها لأيديولوجيا التطرف.
 - ✓ دراسة صورة "الآخر" في رواية "زمن الغبار" وفق مقاربات ما بعد الكولونيالية وما بعد الاستعمار، لتحليل كيفية بناء الكاتبة لعلاقات القوة والهيمنة والمقاومة في زمن "دولة الخلافة".
 - ✓ تحليل الزمن السردي في الرواية والكشف عن كيفية بناء "تصوري" لاستعادة عقود من التحولات الفردية والجماعية عبر تقنية "الاسترجاع المكثف"، وما تحمله هذه البنية من دلالات نفسية واجتماعية وسياسية.
- وفي هذا الختام، يمكن القول إن رواية "زمن الغبار" تمثل شهادة أدبية على مرحلة تاريخية حرجة، استطاعت من خلالها الكاتبة أن توظف السرد لتوثيق واقع مأزوم وكشف انعكاساته على الفرد والأسرة والمجتمع، ومن ثم فإن دراسة بنية الشخصية فيها تبرز مدى ارتباط الفن الروائي بالتحولات الاجتماعية، وتؤكد أن الرواية التونسية المعاصرة أصبحت فضاء خصبا لطرح الأسئلة الكبرى حول الهوية، والحرية، والعنف، ومصير الإنسان في زمن التحولات.



أولاً: التعريف بالكاتبة (فاطمة بن محمود)

تُعدّ فاطمة بن محمود من الأسماء الأدبية البارزة في تونس والعالم العربي المعاصر، فهي شاعرة وكاتبة وإعلامية، وُلدت بمدينة تونس، وتحصّلت على شهادة البكالوريوس في الفلسفة من كلية الآداب بالجامعة التونسية سنة 1994م، تميز مسارها الثقافي بانفتاحه على مختلف الأجناس الأدبية، حيث جمعت في تجربتها بين الشعر والسرد والنقد وأدب اليوميات والكتابة الفكرية، إلى جانب حضورها الإعلامي ومشاركاتها في الفضاء الثقافي العربي.

انطلقت مسيرتها الإبداعية من الكتابة الشعرية، لتؤسس لاحقاً مشروعاً أدبياً متنوعاً امتد إلى الرواية والقصة القصيرة جداً والنصوص المفتوحة والدراسات النقدية، وهو ما جعلها من الأصوات النسائية التي اشتغلت على تطوير أشكال الكتابة الحديثة في الأدب المغربي، مع اهتمام واضح بقضايا الإنسان والمجتمع والتحوّلات السياسية والاجتماعية في العالم العربي. كما ساهمت في تنشيط الحراك الثقافي من خلال مشاركتها في الندوات والملتقيات داخل تونس وخارجها، إضافة إلى انخراطها في العمل الإعلامي، حيث كانت مراسلة لمجلة «الإمارات الثقافية» منذ تأسيسها سنة 2013م، وهو ما عزز حضورها في المشهد الثقافي العربي .

وإلى جانب نشاطها الإبداعي، اضطلعت فاطمة بن محمود بعدد من المسؤوليات الثقافية داخل مؤسسات واتحادات أدبية، من أبرزها عضويتها في الهيئة الإدارية لاتحاد الكتّاب التونسيين (2011-2013م)، وعضويتها المؤسسة للرابطة العربية لكتاب القصة القصيرة جداً بالمغرب سنة 2013م، إضافة إلى عضويتها في المؤسسة التونسية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة منذ السنة نفسها. كما شاركت في تأسيس عدد من الإطارات الثقافية العربية، من بينها الاتحاد العربي لأندية القصة بالخرطوم سنة 2017م، واشتغالها في تأسيس جمعية الكاتبات المغاربيات وتروّسها لفرعها بتونس، إلى جانب عضويتها المؤسسة لرابطة كاتبات إفريقيا بالرباط سنة 2023م، وهو ما يعكس حضورها الفاعل في الشبكات الثقافية النسائية العربية والإفريقية.

وقد حظيت مسيرتها الأدبية بتقدير مؤسسات ثقافية مرموقة، حيث اختارها المجمع التونسي للآداب والعلوم والفنون (بيت الحكمة) ضمن أبرز الشخصيات الأدبية التونسية في النصف الثاني من القرن العشرين، وهو تكريم يعكس قيمة تجربتها وإسهامها في إثراء المشهد الأدبي التونسي والعربي، سواء على مستوى الإبداع أو التأثير الثقافي .

ثانيا: مؤلفات فاطمة بن محمود

أصدرت الكاتبة فاطمة بن محمود رسيدا أدبيا متنوعا وغنيا، يجمع بين الشعر والرواية والقصة القصيرة وأدب اليوميات والمقالات والدراسات النقدية، مما يجعل تجربتها من التجارب التي تميل إلى التعدد والتجريب في الأشكال الكتابية الحديثة، وقد عكست مؤلفاتها انشغالا واضحا بقضايا الذات والمرأة والمجتمع، إلى جانب أسئلة الحرية والهوية والتحويلات السياسية والثقافية في العالم العربي، ومن أبرز هذه الأعمال:

1- في الرواية:

- امرأة في زمن الثورة (2011)
- الملائكة لا تطير (2020)
- زمن الغبار (2023)

2- في الشعر:

- رغبة أخرى لا تعنيني (1998)
- ما لم يقله القصيد (2006)
- الورد التي لا أسميها (2012)
- لا توقظ الليل (2013)
- ما لا تقدر عليه الريح (2019)
- أرض بلا سماء (2025)

3- في القصة القصيرة :

- من ثقب الباب (2013)
- الغابة في البيت (2017)

4- في النقد والدراسات الأدبية:

- في حقائق القص المغربي (2018)
- ليلي العثمان والكتابة من الداخل (2022)
- الرواية فخ للنجاة (2025)

6- أدب اليوميات:

- صديقتي قاتلة (2021)

7- المقالات:

- بالحبر الفاطمي (2025)

* وصدر عنها عدد من الكتب النقدية، من بينها:

- كتاب "مجد بن رمضان"، بعنوان «مسالك الإبداع ومقاصد التأليف في الخطاب الروائي المعاصر: الملائكة لا تطير لفاطمة بن محمود نموذجًا»، دار الكتاب، تونس، 2022.
- كتاب "مريم جبر"، «فاطمة بن محمود، الشجرة التي تمشي»، دار الأمانة، تونس، 2024.
- كتاب "يونس شعبان الفنادي"، وعنوانه «الخطاب الروائي عند فاطمة بن محمود: الجرأة والرؤية والمتخيل»، دار نشر الأدب الوجيز، تونس، 2025.
- وكتاب آخر لمجد بن رمضان، بعنوان «الرواية المعاصرة وآفاق القراءة والتأويل، رواية "الملائكة لا تطير" لفاطمة بن محمود نموذجًا»، تونس، 2026.

ثالثاً: ملخص رواية (زمن الغبار)

تدور أحداث رواية «زمن الغبار» للكاتبة التونسية فاطمة بن محمود" في فضاءين متوازيين: تونس العاصمة، ومدينة الرقة السورية، وذلك خلال يومي «28 و29 يوليو 2013»، المتزامنين مع شهر رمضان، تتحول هذه الأماكن إلى شاهدة على التحولات العنيفة التي عرفها المجتمع التونسي بعد ثورة الربيع العربي، وصعود جماعات الإسلام السياسي إلى سدة الحكم عبر تحالف "الترويكا"، وما رافقه من تغول أمني وتفشي ثقافة التكفير والكراهية.

وتتمحور الرواية حول شخصيتين رئيسيتين «ثريا»، وهي أم تونسية تحاول الاقتراب من رئيس الدولة أثناء احتفاله بعيد الشجرة لتخبره بحقيقة ما جرى، فتُصاب بهراوة أحد حراسه وتنتقل إلى مصحة "الهناء" غرفة رقم 216 في غيبوبة؛ وابنها «ربيع» وهو شاب كان يستعد لامتحانات البكالوريا، فتم تجنيده وغسل دماغه عبر جماعة مسجد الفتح، ليلتحق بتنظيم "دولة

الخلافة" في سوريا، ويُصاب برصاصة في معركة ويُلقى في قبو رطب مع مئات الجرحى ينتظرون الموت دون عناية طبية. يجمع بينهما أنهما يقضيان يوم الإصابات على فراش المرض، وتتحول ذاكرتهما إلى أداة سردية لكشف الماضي.

يتكون المتن الروائي من «ثلاثة فصول»، يأتي الفصل الأول والأخير في صفحتين فقط، بينما يمتد الفصل الثاني على نحو مائتي صفحة، مقسماً إلى خمسة وأربعين مقطعاً سردياً، تحمل عناوين متطابقة تبدأ بـ "يوم الاثنين 29 يوليو 2013..." مع اختلاف الساعة والمكان (بتوقيت سوريا أو تونس).



وتسبق هذه المقاطع مشهد افتتاحي ليوم الأحد 28 يوليو، ومن خلال هذه المقاطع، تتولى ثريا "عبر استرجاعاتها في غرفة المصححة" وبيع "عبر تأملاته في القبو السوري" سرد تفاصيل ما قبل التطرف، بدءاً من حياة عادية مليئة بالقيثارة والدراسة، وصولاً إلى مراحل التجنيد الفكري، والحوارات المليئة بالآيات القرآنية والأحاديث التي تسوقها شخصيات الرواية لدعم توجهاتها دون أن تنتصر الكاتبة لأي طرف.

كما تتضمن الرواية شهادات وحكايات موازية، مثل قصة نادية الإيزيدية التي سُبيت من قرى سنجار وبيعت في أسواق النخاسة، وقصة أمل حبيبة ربيع التي أقنعها بالهجرة للجهاد فوجدت نفسها في مجتمع "مجاهدات النكاح"، بالإضافة إلى هوامش تفسيرية تؤكد وقوع تلك المآسي في الواقع (من إبادة ذكور قرى كاملة إلى تتصل حكومة الترويكاً عن مسؤولية تسفير الشباب). وتكشف هذه الشهادات أن ما واجهته النساء والفتيات على يد الجماعات المتطرفة كان في كثير من الأحيان أشد قسوة من معاناة الحروب ذاتها.

تنتهي الرواية بفرار أمل ونادية، بينما يدخل ربيع في غيبوبة مميتة، تُلقى جثته في حفرة جماعية كبقية ضحايا "دولة الخلافة"، وتخرج ثريا من المصححة وتستمر في حياتها، ممسكة بصومها رغم إصابتها، داعية ابنها لمشاركتها إفطار رمضاني الذي لن يحدث أبداً.

قائمة المصادر

والمراجع

- قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

1. بن محمود، فاطمة، زمن الغبار، الطبعة الأولى، دار زينب للطباعة والنشر، تونس، 2023

ثانياً: الكتب والمؤلفات

1. أبادي، الفيروز، القاموس المحيط، المكتب التراثي لمؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2003 .
2. إبراهيم، عباس، تقنيات البنية السردية المغاربية، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2002 .
3. إبراهيم، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، تركيا، (د.ت).
4. ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1979 .
5. ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003 .
6. بحراوي، حسين، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990 .
7. بن كراد، سعيد، سيميولوجية الشخصيات السردية، دار مجدلاوي، عمان، 2003 .
8. جيرالد برانس، قاموس السرديات، ترجمة السيد غمام، ميريت للنشر، مصر، 2003 .
9. الحجيلان، ناصر، الشخصية في قصص الأمثال العربية، النادي العربي، الرياض، 2009 .
10. الحمداني، حميد، بنية النص السردية من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000 .
11. الخفاجي، أحمد رحيم كريم، المصطلح السردية في النقد الأدبي الحديث، دار الصفاء، عمان، 2011 .

12. الرائد، جبران مسعود، معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، بيروت، 1992 .
13. زغرب، صبيحة عودة، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي، عمان، 2010 .
14. سلامة، محمد علي، الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ، دار الوفاء، الإسكندرية، 2007 .
15. سليمان، نبيل، الزمن والسرد في الرواية العربية، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010 .
16. طالب، أحمد، الفاعل في المنظور السيميائي، دار الغرب، وهران، 2002 .
17. فضل، صلاح، النظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، 1998 .
18. مرتاض، عبد الملك، تحليل الخطاب السردى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005 .
19. مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998 .
20. مرشد، أحمد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، دار الفارس، عمان، 2005 .
21. يقطين، سعيد، من قضايا الرواية العربية الجديدة: الرؤية والتشكيل، المركز الثقافي العربي، 2005 .

ثالثا: المجلات والدوريات

1. إبراهيم، عبد الله، السرد والتمثيل السردى في الرواية العربية المعاصرة، مجلة علامات، العدد 16، جامعة قطر، 2001 .
2. أحمد شعت، بناء الشخصية في رواية الحواف، مجلة الخليل للبحوث، العدد الثاني، جامعة الأقصى، فلسطين، 2010 .
3. بوعافية، أحمد، بنية الشخصية في السرد من منظور النقد المعاصر، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، العدد 3، مخبر الموروث العلمي والثقافي لمنطقة تمنغست، الجزائر، 2022

4. جدي، أيوب، استراتيجيات بناء الشخصيات في الخطاب الروائي المعاصر - دراسة تطبيقية-، مجلة لغة وكلام، العدد 02، مخبر اللغة والتواصل، جامعة غليزان، الجزائر، 2020
5. جليس، رشا عبد الفتاح، تمثلات الربيع العربي في نماذج من الروائية العربية المعاصرة"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة البصرة، 2018 .
6. العرباوي، عزيز، الرواية والواقع: إشكال التمثيل، مجلة فصول، العدد 78، هيئة الكتاب المصرية، 2010
7. موسلي، عبد الفتاح، الشخصية الروائية وطرائق دراستها في روايات نجيب الكيلاني أنموذجاً، مجلة الآداب واللغات، العدد 01، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2025.
8. نجاة وسواس، الأطر اللسانية للسرديات، مجلة التعليمية، العدد الحادي عشر، المركز الجامعي تيسمسيلت، الجزائر، 2017.

رابعاً: الرسائل والأطروحات الجامعية

1. مسعودي، أمال، حادثة السرد والبناء في رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج"، رسالة ماجستير، تخصص أدب عربي، جامعة المسيلة، الجزائر، 2007، 2009.

خامساً: المواقع الإلكترونية

1. "الثورة التونسية ورقصة الفالس التي لم تكتمل"، الجزيرة نت، 12 يونيو 2024 .
2. الاتحاد العربي للثقافة، "السرد التونسي وأسئلة القلق: الرواية بوصفها كتابة للوعي والتحول"، منشور على فيسبوك، 2024 .
3. الأستاذ/ الكاتب (دون ذكر اسم محدد)، "بناء الشخصية الروائية بين التنظير والتطبيق في مفهوم الرواية"، مجلة (Ultrasawt)، العدد غير معروف، 9 أبريل 2026.
4. بوعزة، عامر، "اتجاهات جديدة في الرواية التونسية"، موقع آراء حرة (Opinions Libres)، لا توجد دار نشر، 19 مارس 2019.

5. الخديري، رشيد، "الرواية والواقع.. إشكال العلاقة"، موقع ضفة ثالثة، لا توجد دار نشر، 4 نوفمبر 2022 .
6. عرجون، محمد الهادي، "التذكر والاستذكار من خلال رواية 'زمن الغبار' "، موقع (Middle East Online)، 19 مارس 2025.
7. عمران، الغربي، "«زمن الغبار» للروائية فاطمة بن محمود.. الذاكرة المرة لأبيئة الكراهية"، المصري اليوم، 28 فبراير 2024.
8. الفرشيشي، هيام، "الزمن والسرد والصور الأدبية.. في رواية 'زمن الغبار' لفاطمة بن محمود"، موقع الصباح نيوز، 7 مارس 2024 .
9. محمد الهادي عرجون، "التذكر والاستذكار من خلال رواية زمن الغبار"، Middle East Online، 2025.
10. المصري، وفيقة، "الرواية التونسية بعد الثورة: قراءة في الفضاء الهامشي"، موقع حبر(iber7)، لا توجد دار نشر، 3 نوفمبر 2021.
11. هياجي، محمد، "الرواية والواقع الاجتماعي"، موقع (Hiragate)، لا توجد دار نشر، 5 مارس 2025.



فهرس المكنوية

فهرس المحتويات

- شكر وعرفان

- إهداء

- مقدمة..... أ

الفصل الاول: الاطار النظري للشخصية الروائية والتحول الاجتماعي

تمهيد..... 08

المبحث الأول: مفاهيم نظرية حول بنية الشخصية الروائية..... 09

أولاً: مفهوم بنية الشخصية..... 09

ثانياً: تصنيفات الشخصية الروائية..... 14

ثالثاً: وظائف الشخصية في الرواية..... 17

المبحث الثاني: التمثيل الروائي للتحول الاجتماعي..... 19

أولاً: التمثيل الروائي - المفهوم والآليات..... 19

ثانياً: الواقع الاجتماعي بوصفه رهاناً روائياً..... 20

ثالثاً: التمثيل الروائي للتحولات الاجتماعية ما بعد الثورات..... 21

رابعاً: التمثيل الروائي في رواية "زمن الغبار"..... 22

المبحث الثالث: السياق التونسي بعد الثورة..... 24

أولاً: الشخصية الروائية: من كيان سردي إلى أداة لتفكيك الاجتماعي..... 24

ثانياً: آليات رصد الشخصية للتحول الاجتماعي..... 25

ثالثاً: السياق التونسي بعد الثورة..... 26

الفصل الثاني: بنية الشخصية في رواية زمن الغبار لفاطمة محمود

تمهيد..... 28

المبحث الاول: تصنيف الشخصيات في رواية "زمن الغبار"..... 29

أولاً: الشخصيات الرئيسية والثانوية..... 29

ثانياً: تصنيف الشخصيات وفق معيار الثبات والتطور..... 33

38	المبحث الثاني: الفواعل السردية في رواية "زمن الغبار".....
38	أولاً: الذات.....
39	ثانياً: الموضوع.....
41	ثالثاً: المرسل.....
42	رابعاً: المرسل إليه.....
43	خامساً: المساعد.....
43	سادساً: المعارض.....
44	المبحث الثالث: آليات بناء الشخصية في رواية "زمن الغبار".....
44	أولاً: الوصف الخارجي.....
47	ثانياً: الحوار.....
49	ثالثاً: الفعل السردى.....
51	رابعاً: علاقات الشخصية.....
53	المبحث الرابع: ملامح الشخصيات في الرواية التونسية المعاصرة.....
53	أولاً: الشخصية الأنثوية بين الخضوع والتمرد.....
55	ثانياً: أزمة البطل.....
57	ثالثاً: الشخصيات والتحويلات الاجتماعية الكبرى.....
60	خلاصة الفصل.....
62	- خاتمة.....
66	- ملحق.....
72	- قائمة المراجع.....
77	- فهرس المحتويات.....
--	- ملخص الدراسة.....

ملخص الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى تحليل بنية الشخصية والتحول الاجتماعي في رواية «زمن الغبار» للروائية "فاطمة بن محمود"، من خلال الكشف عن كيفية تجسيد الشخصيات الروائية للتحويلات السياسية والاجتماعية التي عرفها المجتمع التونسي بعد الثورة التونسية 14 يناير 2011، وركزت على إبراز قضايا تفكك الأسرة، وصعود الإسلام السياسي، وهجرة الشباب، وعجز الدولة، وتناولت تمثيل هذه التحويلات عبر تقنيات سردية حديثة.

واعتمدت الدراسة على إطار نظري تناول بنية الشخصية الروائية ووظائفها، إضافة إلى التمثيل الروائي للتحول الاجتماعي في السياق التونسي بعد الثورة مع توظيف منهج تكاملي يجمع بين التحليل البنوي والسوسيونقدي والتفكيكي، لربط النص بسياقه الاجتماعي وكشف أبعاده الأيديولوجية.

وتوصلت إلى أن الرواية تقدم تجربة سردية عميقة، تعكس من خلال شخصياتها وتحويلات صراع القيم والأجيال في المجتمع التونسي، وتبرز قدرة الأدب على تحويل المأساة الفردية إلى خطاب إنساني نقدي، يحفظ الذاكرة ويقاوم التزييف.

■ **الكلمات المفتاحية:** بنية الشخصية، التحول الاجتماعي، الرواية التونسية المعاصرة، زمن الغبار، فاطمة بن محمود

Abstract:

*This study aimed to analyze the structure of characters and social transformation in Zaman al-Ghubar (**The Time of Dust**) by **Fatma Ben Mahmoud**, in order to examine how fictional characters embody the political and social changes that occurred in Tunisia after the Tunisian Revolution. The study focused on issues such as family disintegration, the rise of political Islam, youth migration, and state failure, as well as the representation of these transformations through modern narrative techniques.*

The research relied on a theoretical framework addressing the concept of character structure and its functions, while adopting an integrative approach that combines structural, sociocritical, and deconstructive analysis to connect the text with its social context and reveal its ideological dimensions.

The study concluded that the novel offers a profound narrative experience in which characters and their transformations reflect the conflict of values and generations in Tunisian society, highlighting literature's ability to transform individual tragedy into a critical human discourse that preserves memory and resists falsification.

Keywords: Character structure, social transformation, contemporary Tunisian novel, *The Time of Dust*, Fatima Ben Mahmoud.